"مجموعة من الأطباء"



مشاكل الآباء مع الأبناء

دار العودة - بيروت



مشاكل الآباء مع الأبناء

مشاكل الآباء مع الأبناء

دار العــودة . بيروت

يطلب من دار العودة - بيروت
كورنيش المزرعة - بناية ريفييرا سنتر
تلفون ٣١٨١٦٥ - ٨١٥٣٣٥
تلكس MEREBI ٢٣٦٨٢ - L.E
ص. ب ١٤٦٢٨٤

مقدمة

لم تعد تربية الطفل جسدياً ورعاية صحته وسلامته البدنية ، المعضلة الرئيسة التي تعترض الأهل ، بعد أن تسلح معظمهم بالوعي الصحي ، وصار بإمكانهم استشارة الطبيب والإسترشاد بتوجيهاته ، فضلاً عن اتساع دائرة الإرشاد الصحي عبر وسائل الأعلام على اختلافها .

مما أسهم في قيام واقع تربوي جديد يعتمد التوازن بين التربية الجسدية والتربية النفسية في عالم الأطفال . ويعكس القاعدة المعروفة التي تقول : « العقل السليم في الجسم السليم » ، فيشتق منها نقيضها : « سلامة العقل والنفس ضرورية لسلامة الجسم » . ذلك أن اعتلال الصحة النفسية في الطفل تترك آثارها السيئة على صحته البدنية .

وقد أدت الدراسات النفسية التي أجريت على عدد من الكبار ، المصابين بالاضطرابات النفسية ، إلى أن تلك

الاضطرابات ؛ وان ظهرت في مرحلة لاحقة من العمر ، فإن جذورها تعود إلى مرحلة الطفولة في أكثر الأحيان .

والطفل في مراحل نموه المختلفة يحتاج إلى إشباع حاجاته النفسية والذهنية مثلما يحتاج إلى إشباع حاجاته المادية كالغذاء والتنفس . ولتلبية حاجاته النفسية لا بد من تهيئة أجواء عائلية ومدرسية ملائمة . فإذا صادف أن خللاً ما ، جزئياً أو كلياً ، طرأ على تلك الأجواء ، فإن الطفل سيعتل نفسياً ، وسيكون ذلك مقدمة لانحرافات وعاهات تظهر في اشكال مختلفة ، كأن يصاب الطفل بالميل إلى الكذب ، أو بالعناد والعصبية المفرطة ، أو بالخوف ، أو بالعدوانية والمشاكسة ، أو بالانحراف الى الرغبة في السرقة والاستيلاء على أشياء الغير أو أمواله . ولا يخفى ما لهذه المشاكل من انعكاسات سلبية على الطفل ذاته ، وعلى من يعاشرهم ، ومن ثم على المجتمع بأسره .

هذه المشاكل وغيرها مما يندرج تحت عنوان الصحة النفسية للأطفال ، هي ما يعالجه هذا الكتاب الذي تحتاجه المكتبة العربية والذي توخى ، واضعوه ـ وهم جماعة من أهل الاختصاص، أن يوفروا للأهل مرجعاً، لا غنى عنه، يجدون فيه الحلول والارشادات الكفيلة بمعالجة عدد من المشاكل التي تعترض الآباء في تربية أبنائهم . وقد اختصرت في سبعة

عنـاوين رئيسة ، تمثـل الحالات الأكثـر انتشـاراً بين مشـاكـل الأطفال والأولاد .

هذا الكتاب نقدمه للمـواطنين العرب آملين أن يفي بالغرض ، وأن يساهم في بناء طفولة عربية سعيدة ، وفي انشاء جيـل عـربي يحقق آمـالنـا في مـواكبـة الحضـارة البشـريـة ، وفي ترسيخ مجتمع الرخاء والكرامة .

الفصل الأول

كذب الأطفال

هل يكذب الأطفال حقاً ، وهم الأبرياء الطيبون ؟
كيف يعتادون على الكذب ، وممن يتعلمونه ؟
وكيف يتعلمون الصدق وينصرفون عن الكذب ؟

قبل الإجابة عن هذه الأسئلة ، نشير إلى أن جميع الدراسات التي اجريت على الأطفال والأولاد المصابين بآفة الكذب، أكدت ان الأطفال مجني عليهم من الآباء ومن البيئة الاجتماعية ، إذالأصل في الطفولة هو البراءة والطهارة والصدق .

فالكذب إذن هو سلوك مكتسب وليس فطرة ، ولا دخل للعوامل الوراثية في تكوينه . وهو ، كما يفسره علماء النفس ، تعبير ظاهري عن دوافع ورغبات نفسية تجيش في دخيلة الإنسان صغيراً كان أم كبيراً ، وتنجلي عن حالة تعبيرية خارجية ، تعرف بالكذب ، ولا فرق بين أن تكون الكذبة

بيضاء أو خبيثة ، فهي بالتالي كذبة .

إذن ، لا بد من الاقرار ، باديء ذي بدء ، بأن الطفولة البريئة معرضة للاصابة بآفة الكذب ، وان الميل إلى الكذب ، واعتياده، وادمانه، هي عوارض يكتسبها الفرد من الجماعة، فالطفل الذي يعيش في وسط لا يولي الصدق والاستقامة ما يستحقانه من اهتمام ، يسهل عليه الكذب ، لا سيما إذا كان واسع الخيال ، وذرب اللسان .

وأول مجتمع يواجهه الطفل ، هو مجتمع العائلة ، فإذا كان الأبوان يكذبان ، كلاهما أو أحدهما ، فإن الأبناء سينقادون حتماً في هذا الاتجاه . .

فإذا رنَّ جرس الهاتف ، أو قرع جرس الباب ، وسمع الطفل من يسأل عن الأب أو الأم ، وسمع من يجيب : غير موجود ، أو خرج لتوه ، أو هو في الحمام ، أو غير ذلك من الأجوبة التي لا تعبر عن الحقيقة ، فإن الطفل سيقرأ في هذه الحادثة أول حرف من أبجدية الكذب . وسيترسخ هذا الحرف في وجدانه ، إذا طلب منه شخصياً أن يتولى الجواب على سؤال المهاتف أو قارع الباب .

في البداية سيصاب الطفل بالذهول وبالحيرة ازاء هذا السلوك الذي يلجأ إليه الآباء ، وسوف يرتج عليه ويتلعثم

حينما يطلب منه أن ينقل الجواب الكاذب الى الشخص الثالث ، وعندما ينفذ المهمة ، ويجد أنها سهلة ، وأن الكذبة قد انطلت على الغير ، تساوره نشوة النصر لأنه نجح في إداء المهمة ، وترتسم الحالة الشاذة في ذهنه ، فيجرب أن يكررها ، وأن يجرب مفعولها ثانية ، حينما تسنح الفرصة .

انه أول درس في الكذب ، ولا ينفع بعد ذلك أن يفسر الأب أو تفسر الأم الموقف ، بالقول : ان وقتهما لا يسمح باستقبال الزائر أو بمحادثة المتكلم على التلفون ، أو بالقول : انه ثقيل ، أو انه غير مرغوب به ، أو غير ذلك من تبريرات .

وحالة ثانية ، تقود الأبناء إلى الوقوع في فخ الكذب ، كأن يوعد الطفل بلعبة ، أو بنزهة ، أو بثوب جديد ، ان هو نجح في الامتحان ، أو نفذ مهمة معينة ، وعندما يحل موعد الوفاء بالوعد ، يتجاهل الآباء وينكثون بوعدهم ، فإذا ما ذكرهم الأبناء وطالبوهم بالوفاء ، زعموا أنهم لا يملكون المال اللازم ، أو أنهم وجدوا السوق مقفلة ، وسرعان ما تنكشف الكذبة ، فيرى الطفل مع الأب أو الأم رزمة من النقود ، أو يتأكد بالصدفة ، ان الحوانيت لم تقفل أبوابها بعد ، فيصاب بصدمتين في آن : الصدمة الأولى تتمثل بخيبة أمله ، والثانية وهي الأهم ، ادراكه أن الأهل كذبوا عليه . وجراء ما تتركه حادثة كهذه من اثر في نفسه اللدنة الطرية المنزهة عن

الإعوجاج ، فانه يندفع في الكذب ليعاقب به أبويه ، وليؤكد لهم انه قادر على خداعهم ، مثلما فعلوا هم به .

ولا يختلف الأمر كثيراً . إذا لم يجد الأبوان الوقت الكافي لمساعدة الولد على حفظ درسه أو كتابة وظيفته المدرسية ، فطلبوا إليه أن يهمله ويخلد للنوم ، وان يعتذر للمعلم بانه أصيب بوجع في رأسه أو بحمى مفاجئة أقعدته عن الدرس . . أو يتولى الأبوان القيام بمهمة الاعتذار بالكتابة أو بالحضور إلى المدرسة لتقديم المعذرة ، على الصورة التي مر ذكرها . وكان حرياً بهما ان يتجنبا الكذب ، وان يبادرا إلى الاعتذار ، لكن بقول الحقيقة ، والاعتراف للمعلم ، وبحضور الطفل ، ان الدرس كان صعباً ، فلم يستطع الطفل تحضيره بنفسه ، ولم يكن بالامكان مساعدته من قبلهما لإنهماكهما باستقبال الضيوف ، أو بسبب ارهاق جسدي حلَّ بهما ، أو بسبب انصرافهما إلى أعمال أخرى اضطرارية ، أو حتى بسبب تشاغلهما عن الطفل بمشاهدة برنامج تلفزيوني . وليس مهماً أن يكون العذر مقنعاً ومقبولاً ، المهم أن يكون معبراً عن حقيقة الموقف، دون تلفيق أو غش. حينئذ يجنب الأهل طفلهما القصاص، وعاقبة غرس نواة الكذب في نفسه .

* * *

أنواع الكذب عند الأطفال

يمكن التمييز بين أنواع مختلفة من كذب الأطفال ، تبعا للأسباب والبواعث ، وأبرز هذه الأنواع وأكثرها انتشاراً هي التالية :

الكذب إلتباساً

قد يلتبس أمر ما على الطفل ، فينقله للآخرين على غير حقيقته، متوهماً أن ما نقله هو الحقيقة . وهنا لا يؤخذ على الطفل انحراف في سلوكه . ويكتفي بتوضيح الأمر من قبل الأهل ، وتصحيح الصورة في ذهن الطفل .

ومثال ذلك أن يحدث الأبوان الطفل عن « بابا نويل » الذي يزور الأطفال عشية عيد الميلاد ليضع لهم الهدايا قرب سرير النوم، أو تحت شجرة الميلاد، ثم يستغرق الآباء في وصف هذا الملاك الكريم، فيصفون ثيابه الحمراء ، وحماره الأبيض ، وينقلون للطفل زعمهم انه يهبط عليهم من السماء ، ويتسلل إلى المنزل عبر المدخنة، أو من النافذة، وصبيحة

العيد يستفيق الطفل على الهدية فيفرح بها، وإذا سأله سائل من اترابه أو الكبار عنها ، ينبري بعفوية ليقول : انها من « بابا نويل » ، ويسترسل في الرواية فيصفه ويستحضر صورته مما شاهده في التلفزيون، أو في المناسبات المماثلة السابقة، ولا يتورع إن استزاده السائل، أن يروي كيف شاهد بأم عينه هذا الملاك يهبط من السماء ويدخل من المدخنة، بعد أن يترك حماره الأبيض على السطح، ثم يتسلل بتؤدة إلى غرفة النوم ليضع الهدية قرب مرقد الطفل.

وفي هذه الحالة ، فإن الطفل يكون في حالة التباس ، يختلط فيها الحلم بالحقيقة، والدافع بالخيال.

ومثال آخر على هذا النوع من الكذب الالتباسي . كأن يرغب الطفل بالخروج إلى الشارع للترويح عن النفس، أو إلى دكان قريب لشراء الحلوى أو البوظة ، فيثنيه الأهل عن ذلك ، بالادعاء إن شخصاً يدعى « أبو الفزع » ألّف عصابة لخطف الأطفال ، وأفراد هذه العصابة يجوبون الشوارع بحثاً عن ضحاياهم ، ويسترسل الأهل في وصف هؤلاء المجرمين ، ويصورونهم على أبشع صورة. . ويصادف أن يلمح الطفل شخصاً غريب الشكل، فيسقط عليه الصورة التي ارتسمت في ذهنه عن « أبو الفزع » ، ويلعب الخيال لعبته، فيروي الطفل كيف أن « أبو الفزع » تربص به الدوائر، وحاول خطفه ،

وكيف تمكن أن يفلت من قبضته .

وفي كلتا هاتين الحالتين ، وفي كل الحالات المشابهة ، نظل كذبة الطفل مبررة ، ولا خطر منها ، وذلك انها من النوع الالتباسي .

الكذب تخيلاً

عالم الطفولة ، في مراحله المبكرة ، عالم يتعايش فيه الخيال والحقيقة . فالطفل الذي يبني من لعبه مدائن ، وقرى ، وقصوراً ، وعوالم رائعة ، هو انسان مبدع ، واسع الخيال .. والطفل الذي تراوده أحلام اليقظة هو أيضاً انسان مبدع ، ورائع الخيال .

وإذا كان عالم اللعب ضرورياً للطفل منذ شهره الرابع ، وكان لزاماً على الآباء اغناء هذا العالم بكل جديد ، وتطوير ادواته وفق نمو الطفل ، فإن من أهم واجبات الاهل أيضاً ، أن يتيحوا الفرصة أمام ممارسة الطفل لحقه الطبيعي بدخول ملكوت أحلام اليقظة .

فلو حدث أن طفلاً روى لرفاقه انه زار « والت ديزني » ورأى عالمها الغرائبي بأم العين ، وراح يصف ما رآه ، وهو في

الحقيقة قد شاهد فيلماً وثائقياً عن « والت ديزني » ووعده أبواه بزيارتها في العطلة المقبلة ، فإن حالة هذا الطفل تندرج تحت عنوان الكذبة البيضاء النابعة من الخيال ، ولا خطر منها ، لا سيما إذا كان صغير السن، أي دون السابعة من عمره. وهنا لا حاجة لتدخل الأهل الزاجر، ويكتفى بتذكير الطفل أن ما يرويه هو من وحي الفيلم، وإن الانتقال إلى « والت ديزني » سيتم في مرحلة لاحقة . وعندها بامكانه أن يلتقط الصور الحية، وان ينقل انطباعاته للآخرين .

الكذب تباهياً

أحياناً يلجأ الطفل للكذب تباهياً على اقرانه بصفة يدعونها لهم أو لذويهم، أو بانجاز منسوب لهم أو لآبائهم. ومرجع هذا النوع من الكذب، الشعور بالنقص، فيكون الكذب غطاء لهذا الشعور .

ومثال ذلك أن يزعم الطفل أمام أبويه انه حظي بتقدير المعلمة، لانه استطاع أن يحل مسألة الحساب، التي عجز رفاقه عن حلها . . والحقيقة أن زميلاً له هو الذي حل المسألة وحظي بالتقدير، ولأنه ضعيف في الحساب، ومقصر، وعاجز عن مواكبة رفاقه، وينال دوماً علامات متدنية في هذه المادة،

فإنه أسقط على نفسه، ما قام به غيره، ليغطي شعوره بالنقص، وليوهم أبويه بانه بدأ يتجاوز محنته هذه، لأنه في قرارة نفسه، يحلم بذلك ويطمح إليه، ولا يجد السبيل إلى تحقيق طموحه.. وهنا يتوجب على الأهل، التأكد من الحقيقة، حتى إذا اكتشفوا الكذبة، فإن أفضل السبل لمعالجتها أن يوفروا للطفل السبيل الصحيح لتعويض ضعفه في الحساب، باعطائه دروساً اضافية على يد معلم مختص، يتولى اعادة شرح الدروس اليومية، وتبسيط القواعد والتمارين . دون أن يشكل ذلك ارهاقاً للطفل، أي أن لا تكون الدروس الاضافية على حساب المواد الأخرى، أو على حساب أوقات الراحة الضرورية في مثل سن الطفل .

الكذب استعطافاً

ومن حالات كذب الأطفال، أن يكون بدافع استدرار العطف، أو استدراج العطايا والنقود.

والأمثلة على هذين النموذجين من الكذب كثيرة : فثمة أطفال يتمارضون، وأحياناً يمثلون بنجاح واقع المرضى، فترتفع قليلاً درجة حرارتهم ، أو يصابون بالاسهال، أو يتقيأون طعامهم. كل ذلك بهدف استدرار عطف الآخرين لا سيما

الأهل. وترد هذه الحالة عندما يولد في العائلة مولود جديد، فيشعر الطفل بانه لم يعد موضع اهتمام العائلة، وجاء من احتل مكانه. فلا يلبث أن يدافع عن موقعه المهزوز بالتمارض، ليلفت إليه الأنظار، ويستعيد لنفسه عاطفة الأهل المفقودة.

وأحياناً تأخذ هذه الحالة شكلاً آخر، كأن يدعي الطفل انه تعرض لأذى من الغير (رفاقه ، المعلم ، أولاد الجيران) ، آمـلاً أن يهب الأبوان إلى نجدته، فيعود بذلك إلى دائرة الضوء والاهتمام العائلي. أو مستبقاً بهذه الكذبة نتائج الامتحان، ليوهم الأبوين بأن تقصيره إنما كان نتيجة للمعاملة السيئة التي يلقاها في المدرسة من المعلمة، أو من زملائه، أو منها ومنهم جميعاً، ويخلص إلى انه ضحية، وان الخلاص يكون بانتقاله الى مدرسة أخرى.

وفي صورة ثالثة لهذه الحالة، قد يزعم الطفل انه أضاع مصروفه، أو قلمـه، مطالبـاً بالمـال اللازم لتعـويض هذه الخسارة ، أو أن يلجأ إلى كسر أو تخريب لعبته، مطالباً باستبدالها بلعبة جديدة، أو أن يحدث ثقباً في بنطاله، أو في محفظة كتبه، بهدف شراء بنطال جديد أو محفظة جديدة.

وهذا النوع من الكذب تحايلاً، يكون سببه تقتير الأباء على الابناء ، والمبالغة في مراقبة تصرفاتهم، ومحاسبتهم الزجرية الصارمة على ما يرتكبونه من اخطاء غير مقصودة، لا

سيما في مجال المحافظة على الثياب والكتب واللعب والأثاث والأشياء الخاصة بهم. فيفقد الطفل الثقة بنفسه وبوالديه، وتتملكه الرغبة في استغلالهما، وايقاع الخسارة بهما. ويكون الكذب وسيلته لتحقيق هذا الهدف.

الكذب انتقاماً

ومن أخطر أنواع الكذب الذي يلجأ اليه الأطفال، ان يكون بدافع ايذاء الغير انتقاماً. كأن يلفق الطفل كذبة تسيء لزميل له في المدرسة، بهدف التشهير به، أو استدراج المعلم الى توبيخه أو معاقبته. والأمر ذاته قد يحدث بين الاخوة في العائلة الواحدة، والباعث على مثل هذا الكذب هو الرغبة في ايذاء الغير والانتقام منهم بسبب الغيرة، والمنافسة غير المشروعة، وأحياناً تحت تأثير الكراهية والحقد.

هذا النوع من الكذب يستدعي تفكيراً وتدبيراً مسبقين، ويتطلب خيالاً خصباً وشريراً في آن، ويكون مصحوباً عادة بتوتر نفسي وانفعال. ويرد المعنيون بالطب النفسي هذه الظاهرة الى شعور الطفل بانه منبوذ، ولا يحظى بمعاملة عادلة قياساً على ما يعامل به الآخرون من إخوته أو رفاقه في الصف، وعلاجه أن نرفع الغبن عن الطفل إن كان واقعاً فعلاً، أو أن

توجه للطفل عناية خاصة، يشعر معها انه مخطىء في تقديره.

الكذب تداركاً للعقاب

إذا كانت الاسرة أو المدرسة تطبق نظاماً صارماً في التربية، بحيث يستدعي كل اخلال بالنظام عقوبة مناسبة، فإن الطفل قد يضطر إلى الكذب كلما شعر انه أخلّ بالنظام، كي يتدارك العقاب وهذا النوع من الكذب هو بمثابة الدفاع عن النفس. وسواء كان هذا الدفاع مشروعاً، أو غير مشروع، وفق تقدير الأهل أو المدرسة، فإنه يبقى مبرراً، ما دام الطفل لا يعطى الفرصة للدفاع عن نفسه في محاكمة عادلة، وما دام العقاب هو النتيجة الوحيدة المنتظرة، جراء الاخلال بالقواعد التربوية الصارمة المطبقة في الاسرة أو المدرسة، سواء كان الإخلال مقصوداً وممكناً تجنبه، أو كان عفوياً، ومن الصعب على الطفل، في مثل سنه، وبقدراته المحدودة، أن يتدارك الوقوع فيه.

ويعالج هذا النوع من الكذب، بمنع اسبابه، أي بتطبيق نظام تربوي بعيد عن الزجر والعقاب، ومرن، بحيث تؤخذ كل حالة على حدة، ويحاكم كل خطأ بطريقة تتلاءم مع مسبباته والظروف المحيطة بالطفل الذي ارتكبه. فلا يكون العقاب ثوباً

مفصلاً بصورة مسبقة، يلبسه الطويل والقصير، والنحيف والبدين حتى وان خالف مقاسه.

وهذا النوع من الكذب يأخذ شكلاً عنفياً حينما يتجاوز حالة الدفاع عن النفس، إلى حالة «ثوروية» يمكن أن تطلق عليها اسم «مقاومة السلطة». ولا نميز هنا بين السلطة الابوية والسلطة المدرسية. واذا علمنا أن الكبار يعرفون هذا النوع من الكذب، يلجأون اليه لمقاومة السلطة الجائرة، أو السلطة الصارمة، لادركنا مدى خطورة تسهيل وقوع الطفل في شركه. وهنا تنصح الاسر والمدارس باعتماد قواعد تربوية أقل صرامة، وخالية من الزجر والأمر والنهي، ومشيعة بروح العدالة. حيث التفهم والتفاهم هما سيدا الساحة.

من الحالات التي لحظتها العيادات النفسية، حالة ولد انقطع عن المدرسة طوال شهر كامل وصار يقضي اوقاته في الحدائق العامة، والشوارع، ليعود بعد ذلك وفي موعد انتهاء الدروس الى المنزل متباهياً انه حقق نجاحات ملموسة في علاماته المدرسية، ومتذمراً من الارهاق الذي تسببه له المدرسة، جراء مواظبته وانصرافه الكلي لها ولواجباته المدرسية، وفوجيء الاهل بكتاب يستدعيهما الى ادارة المدرسة، حيث اطلعا على الحقيقة المذهلة. وفي العيادة النفسية اكتشف الوالدان ان سلوكهما قاد الولد الى ما انتهى

اليه، حيث كانا يحرمانه من النزهات، ومن الترويح عن النفس، حتى انهما كانا قد قررا وقف تشغيل جهاز التلفزيون طوال السنة الدراسية، بحجة انه يلهي الولد عن دروسه.

الكذب تقليداً للآخرين

ومن الاطفال من ينساقون الى الكذب لا شعورياً، تحت تأثير البيئة التي يعيشون فيها. فالطفل الذي يطلب منه الابوان ان يخلد للنوم ليتمكنا من النوم أيضاً، ثم لا يلبثان أن يقفلا عليه الباب ويخرجا لقضاء السهرة في السينما أو في المسرح، أو في زيارة للاصدقاء، وفي وهمهما أن كذبتهما انطلت عليه، في حين انه قضى ليلته خائفاً من الظلمة والوحدة، متقلباً في فراشه، متوجساً الخطر، هذا الطفل يتعلم الكذب من ابويه.

ومثله ذلك الطفل الذي يوهمه الابوان انهما سيخرجان به لحضور فيلم سينمائي، فيكتشف انه نقل خداعاً الى عيادة طبيب الاسنان، لاقتلاع سن خرب.

ان الاحباط الذي يصاب به الطفل في الحالين، يدفعه الى تقمص الدور ذاته، بهدف التقليد حيناً، وبهدف التنفيس عن مضاعفات الاحباط أحياناً أخرى، ويكون الأهل قد تسببوا، عن غير قصد، في ما آلت اليه حال الطفل.

الفصل الثاني

السرقة ● ● ●

●●● ودوافعها عند الأطفال

مثلما يكتسب الطفل عادة الكذب من البيئة الاجتماعية المحيطة به. فإنه قد يكتسب عادة سيئة أخرى هي السرقة. ودلت التحقيقات الميدانية التي نفذها فريق من الباحثين داخل العيادات النفسية، وفي اصلاحيات الاحداث، ان معظم الاطفال والاولاد المعتادين على السرقة هم في الوقت نفسه معتادون على الكذب، لعلة ترابط هذين السلوكين الشاذين، حيث الكذب يغطي السرقة في كثير من الحالات. بيد ان الدوافع تختلف بين هذا السلوك وذاك، وان كانت التنشئة العائلية تشكل الباعث الاقوى لكل من الكذب والسرقة.

ففي كثير من الاسر، لا يهتم الآباء كثيراً في اشباع حاجة الطفل للتملك، وهي حاجة فطرية مشروعة يشعر بها الطفل في سن مبكرة، اي خلال الشهرين الاخيرين من السنة الاولى من عمره. ولا غرابة اذن، ان يبكي طفل في شهره الثاني عشر،

إذا امتدت يد الغير إلى لعبه، وبكاؤه هذا هو تعبير عن احتجاجه على انتهاك الغير لحقه في الملكية.

لذا فإن الآباء مطالبون بتخصيص كل طفل من أطفالهم بلعب خاصة، وثياب خاصة، وأشياء خاصة، وزاوية خاصة في المنزل تمكن الطفل من وضع هذه الأشياء لا سيما اللعب والكتب وأدوات الرسم، والآلات الموسيقية، والاطمئنان الى انها في مكان أمين.

ويخطىء الآباء عندما يتسببون عن غير قصد في عدم نضوج ملكة التمييز بين ما يملكه الطفل وما لا يملكه، كأن يشتروا لأطفالهم الثلاثة لعبة واحدة، أو أن يشتروا لهم ثلاثة ألعاب، ثم يطلبون منهم التناوب عليها بطريقة دورية. أو أن يخلطوا جواربهم وقمصانهم، فيلبس الواحد منهم ثوب الأخر، بحجة ان اعمارهم متقاربة، وان التناوب على الثياب وتبادلها فيما بينهم يمكنهم من التغيير، فيظهرون جميعاً في ثياب تتبدل يومياً بالوانها واشكالها.

ان هذا السلوك من قبل الآباء يؤدي إلى نتائج عكسية، اذ ينعدم لدى الطفل وعي التمييز بين ما يملكه وما يملكه اخوته وهذا الوعي ضروري في كل مراحل النمو النفسي، لأنه يعود الطفل على حماية ملكيته الخاصة والاعتناء بها وتطويرها،

وعلى احترام ملكية الآخرين وحقهم في حمايتها.

ومن المفيد أن نلفت نظر الآباء إلى أن الطفل يندفع أحياناً، وبصورة لا شعورية، إلى الاعتداء على ملكية غيره، فتمتد يده الى لعبة أخيه ليلهو بها، وتنشأ نزاعات متبادلة بين الاخوة على ملكية الاشياء، وهذا طبيعي جداً، ويجب أن يواجهه الآباء بشيء من البرود والمرونة، فلا يزجرون الطفل، ولا يعاقبونه، بل يحاولون ان يشرحوا له أن عليه أن يستأذن أخاه قبل أن يتطاول على لعبه وأشيائه، لأنه هو شخصياً، يرفض ان تمتد يد اخيه الى أشيائه دون اذن منه، وهذا حق من حقوقه.

ومهما تكن الدوافع الى السرقة، فإن العلاج يبدأ وقائياً، بمعنى ان يعمل الآباء على تفادي سقوط أولادهم في هذا السلوك، وهم من اجل ذلك مدعوون إلى اعتماد القواعد التربوية التالية:

١ - توفير جو عائلي مفعم بالمحبة المتبادلة والاحترام المتبادل بين الأبوين من جهة، وبينهما وبين أطفالهم، من جهة ثانية، وأخيراً بين الاخوة بعضهم مع بعض. مما يضفي على الحياة العائلية هدوءاً وطمأنينة واماناً واستقراراً، تساعد كلها على بلورة مشاعر الامانة في أفراد الاسرة.

٢ - العمل قدر الامكان على تأمين حد مقبول من الضروريات

للاطفال من ملبس، ومأكل، وترويح عن النفس.

٣ ـ احترام حق الطفل بالتملك، وتعليمه ان يحترم حق غيره بالملكية.

٤ ـ الامتناع عن زجر الطفل ومعاقبته بالضرب او خلافه، ووصمه باللصوصية، اذا أخطأ مرة واستولى على شيء ليس له. والاكتفاء بانتزاع الشيء منه واعادته الى مالكه الحقيقي، وتوضيح أسباب هذا التصرف، ومن ثم مراقبة الطفل لمعرفة السبب الذي دفعه الى هذا السلوك، ومعالجته بحكمة وروية، وبعد نظر.

٥ ـ تعويد الأطفال على الاندماج في الحياة الاجتماعية، في المدرسة والنوادي، والجمعيات الرياضية، والكشفية، وغير ذلك من أنشطة جماعية، فضلاً عن تشجيع مواهبه، ودفعه إلى ممارسة هواياته المفضلة. وبذلك كله يكون الآباء قد شجعوا أطفالهم على الانتماء للجماعات، وساعدوهم على قتل وقت الفراغ، وعلى توظيف طاقتهم الزائدة في انشطة مفيدة.

٦ ـ تنمية الشعور بالملكية لدى الطفل منذ مطلع عامه الثاني، بتخصيص مكان محدد لحاجاته، وتعويده على ترتيبها، والعناية بها والدفاع عنها.

٧ ـ تنظيم مصروف الطفل اليومي بما يتناسب مع سنه وبيئته المدرسية ووسطه الاجتماعي، فلا حرمان ولا تبدير، بل كفاية الحاجة.

وهنا ننبه الآباء الموسرين الى عدم اغراق ابنائهم بالمال يبذرونه على غير طائل، كما ننبه الآباء المعسرين، أن يقطعوا من ضعفهم قوة لتوفير الحد الضروري واللازم من المصروف لأولادهم، حتى لا يتعمق في وجدانهم الشعور بالحرمان.

دوافع السرقة

بعد أن استعرضنا السرقة كسلوك شاذ عند الأطفال، وعرضنا لبعض القواعد التربوية التي ينبغي على الآباء تطبيقها لتفادي وقوع اولادهم في هذه الآفة. نعود فنستعرض أهم دوافع السرقة عند الأطفال، كما صنفها علماء النفس والأطباء في العيادات النفسية والباحثون الاجتماعيون، وهي التالية :

١ ـ الحرمان :

الحرمان اقوى الدوافع واشرسها، ويأخذ اشكالاً شتى. فقد يكون كلياً، أو جزئياً، وقد يكون عن قصد أو عن اهمال.

فإذا صادف أن الأهل لا يهتمون بتنويع اطباق المائدة،

بحيث يتناول اطفالهم منها كل ما يحتاجه الجسم للنمو، كأن تطغى البروتينات على السكريات، أو العكس، أو كأن تختفي الفواكه والخضار عن المائدة لمدة طويلة، أو أن تحجب الحلوى عن الأطفال بحجة انها تضر اسنانهم، أو تسبب السمنة. حينئذ يكون الآباء قد دفعوا أطفالهم عن غير قصد إلى عتمد وسائل ذاتية تشبع حاجة أجسامهم لهذه المادة او تلك. فيندفعون لا شعورياً إلى البحث عن ضالتهم والتهامها بعيداً عن أعين الرقباء، وتمتد ايديهم إلى علبة الشوكولا، أو إلى علبة البسكويت، أو حتى ما تيسر من السكر، عندما تحتاج أجسامهم الى السكريات، كما تمتد أيديهم إلى الثلاجة بحثاً عن قطعة لحم أو بيضة، كلما حثتهم احتياجات الجسد للبحث عن البروتينات.

وتشير الابحاث التي اجريت على عينات من الاحداث الذين الفوا ما يشبه العصابات للسطو على مزارع الدواجن، أو بساتين الفواكه، أو أكشاك باعة السمك، تشير هذه الابحاث إلى أن افراد هذه العصابات يعانون من سوء التغذية، بسبب حرمانهم من هذه الاصناف.

وتقول احدى الحالات ان احد هؤلاء الأطفال هو الابن الوحيد لابوين موسرين، لكنهما اعتادا ان يخرجا صباحاً من المنزل دون تناول طعام الافطار، وكان افطار الطفل اليومي

قطعة سندويتش محشوة بالجبنة. وكان الزوجان بحكم عملهما لا يلتقيان على مائدة الغداء، فيتناول الزوج طعامه في الخارج وتعود الزوجة متأخرة من عملها، فتكتفي ببعض المعلبات كطعام غداء لها ولطفلها، وفي المساء كان الزوجان يلتقيان على مائدة غنية بالمازات حيث سرعان ما يأوي الطفل إلى فراشه، لأنه لا يجد في اطباق مائدة والديه ما يروق له. ولم تكن ثلاجة العائلة بادسم من مائدتها، فاندفع الطفل، اشباعاً لاحتياجاته الغذائية، الى السطو على كشك بائع السمك الذي كان يمر امامه كل يوم في طريق عودته من المدرسة، وخطف سمكة كبيرة وفر بها الى حديقة قصر مهجور، وهناك اكتشف انه لن يستطيع أن يعالجها، فلا الماء متوفر لتنظيفها، ولا مجال لقليها، فتفتق خياله عن حل، فاخفى السمكة في محفظة كتبه، وقصد احد زملائه من التلاميذ، واسر اليه بما فعل، وطلب منه المساعدة، فما كان من هذا الاخير إلا أن تزود بعلبة ثقاب وسكين وقليل من الملح وبزجاجة ماء وضعها في محفظة كتبه واستأذن أمه بالخروج مع رفيقه بحجة ان المعلم طلب اليهما ان يذاكرا معاً، وتوجه الطفلان إلى حديقة القصر المهجور فنظفا السمكة، وجمعا العيدان اليابسة وأضرما ناراً، ثم شويا السمكة واكلاها.

وبعد هذه الحادثة، صار الطفلان يلتقيان في ملعب

المدرسة ويرسمان الخطط لعمليات مماثلة، طالت اصنافاً أخرى بينها دجاجة، وعلب سردين، وبعض البيض، وفواكه البساتين، وتمكن الطفل من اقناع أحد اترابهما بمشاركتهما في هذه العمليات، الى أن ضبطت «العصابة» بالجرم المشهود، واحيلت القضية على محكمة الأحداث، التي احالتها الى باحثة اجتماعية، درست القضية من جميع جوانبها، وتوصلت إلى أن الحرمان هو الذي دفع الأطفال الثلاثة الى هذا السلوك. كما اكتشفت ان أسباب الحرمان لم تكن متشابهة، حيث أن أحد الأطفال كان يتيم الأبوين، ويعيش في كنف جدته وهي امرأة عجوز بخيلة، في حين أن الثاني كان الابن السابع لابوين فقيرين.

وهكذا فان الاهمال والبخل والفقر اجتمعت لتشكل هذه «العصابة» من الأطفال اللصوص.

٢ ـ الشعور بالنقص:

ومثلما يؤدي الحرمان جوعاً إلى اعتياد السرقة فإن الحرمان العاطفي قد يؤدي إلى حالة من الشعور بالنقص، والضعة، تقود هي الأخرى إلى السرقة لاثبات الذات، والايهام بالتفوق.

ومثل هذه الحالة كانت موضع درس في العيادة النفسية، فثبت ان التفكك العائلي هو السبب. فالأب كان غنياً لكنه

يقضي معظم أوقاته خارج المنزل مشغولاً بأسفاره المتتالية، وكانت الأم تعاني من الوحدة، فلا تهتم بمأكلها وملبسها وهندامها، وتهمل ابنها، في المأكل والملبس والهندام، مما دفعه الى السطو على خزانة مجوهراتها فسرق قطعة وباعها لأحد تجار المجوهرات، ثم راح ينفق ثمنها في مقصف المدرسة فيبتاع الكاتو والعصير، له ولرفاقه.

أثبت التحليل النفسي الذي أخضع له هذا الولد، أن الحرمان العاطفي، وما لازمه من اهمال الأم لابنها، وعدم اشباع حاجاته في الغذاء والملبس، دفعت الولد الى هذا السلوك، للتنفيس عن شعوَره بالحرمان، وبالنقص، وبالضعة، ولاثبات نفسه والتباهي امام اقرانه بالانفاق عليهم.

٣ ـ السرقة بدافع الانتقام

واخطر الدوافع ان يكون بسبب الانتقام. سواء كان انتقاماً من الأهل، أو من الأخوة، أو من المعلم، أو من زملاء المدرسة.

فثمة أطفال يسرقون نقود آبائهم، أو أغراضهم الثمينة كالساعات والحلي، وينفقونها أو يدمرونها، لا لشيء، غير الانتقام منهم، بسبب تقتيرهم في المصروف، والانفاق، أو بسبب معاملتهم الخشنة الصارمة للطفل.

وأحياناً ينصب الانتقام على الاخوة، فيسرق الأخ أخاه أو اخته، لأنه يشعر بتفوقه أو تفوقها عليه في الذكاء أو في الدروس، أو لأنه يرى أن أخاه يحظى بمعاملة مميزة من ابويه.

وقد ينصب الانتقام على زملاء المدرسة، لا سيما المتفوقين منهم، ويتلفها ليسبب لهم الارباك، واحياناً يسرق كتبهم ويبيعها بثمن بخس للمكتبات التي تتداول الكتب المستعملة. وغالباً ما يركز هذا الطفل على نوع معين من الكتب، ككتاب الحساب، اذا كان ضعيفاً في هذه المادة. او كتاب التاريخ، اذا كان معقداً من معلم التاريخ الذي يوجه اليه ملاحظات قاسية.

وتعالج هذه الحالة بازالة اسبابها، حتى لا تتحول إلى عادة مزمنة تتملك الطفل.

٤ ـ عشرة السوء:

من الدوافع للسرقة في عالم الاطفال عشرة السوء، حيث يخالط الطفل بيئة اعتاد افرادها على السرقة، ويتبجحون دائماً بقدرتهم على الوصول إلى ما يبتغون من اشياء يملكها غيرهم.

فالطفل الذي يرافق أمه الى السوبر ماركت، ثم يراها تدس الاشياء الصغيرة في محفظة يدها، او في جيوبها، ولا تدفع ثمنها على الصندوق، فسوف يحاول تقليدها، لا سيما

وانه لمس نجاحها في مهمتها، وسوف يسمعها بعد قليل تتباهى بنجاحها أمام زوجها أو أمام زوارها، فيتوهم ان ما فعلته الام هو انجاز عظيم، ثم لا يلبث ان يمد يده هو الآخر الى أشياء الغير.

ومثل هذا الطفل طفل آخر يخالط أطفالاً اعتادوا السرقة، ويسمعهم كيف يتبادلون الحكايات عن «بطولاتهم» في عالم اللصوصية، فمنهم من يروي كيف نشل محفظة نقود من لاوتوبيس، دون ان يلحظه أحد، وكيف خبأها في جيبه، ثم افرغها من محتوياتها، ورماها في النهر، محتفظاً بالنقود ينفقها على هواه.. ومنهم من يروي كيف غافل والده وسرق بعض نقوده وهم جميعاً فيما يروون، يظهرون لباقة في الحديث، وفرحاً متبادلاً، وزهواً وخيلاءً، يخيل للسامع معها انهم أبطال حقيقيون، واذا ربط الطفل بين ما يسمعه من رفاقه وبين ما شاهده مرة، في أحد أفلام الكاوبوي من سطو البطل على مزرعة الابقار، فانه ينتهي الى محصلة تقول ان السرقة الناجحة هي نوع من البطولة !!

وهنا يتوجب على الآباء تفادي الوقوع في هذا المأزق، وذلك بمراقبة اولادهم، وتوجيه اختيارهم لاصدقائهم. كما على الآباء أن يكونوا القدوة الصالحة لأبنائهم في سلوكهم ومعشرهم.

٥ ـ قتل الوقت واشباع الهواية :

وبعض أسباب السرقة تعزى إلى دوافع من نوع اخر، كأن يسرق الولد النقود ليتمكن من مرافقة زملائه الى السينما، ليملأ وقت فراغه، حيث لم يهيء له ابواه برنامجاً للترويح عن النفس.

وأحياناً ، يندفع الطفل الى السرقة لاشباع هواية ما، كأن يكون ميالاً الى ركوب الدراجات، ولا يملك واحدة منها، فيسرق ليتمكن من استئجار دراجة. أو أن يكون ميالاً للتصوير ولا يملك ثمن فيلم، فيسرق ليبتاع فيلماً يشبع من خلاله هوايته .

وهنا على الآباء ان يساعدوا ابناءهم على امتلاك كل ما يشبع هواياتهم، ويملأ أوقات فراغهم.

٦ ـ الضعف العقلي :

يؤكد الباحثون ان الولد المصاب بالضعف العقلي أو بانخفاض درجة الذكاء ، يتعرض الى السقوط في شرك اعتياد السرقة عندما يعاشر أتراباً منحرفين، يوجهونه الى السرقة.

وفي مثل هذه الحالات ، فإن الآباء مطالبون بمراقبة الولد المصاب بالضعف العقلي، وابعاده عن عشرة السوء .

وفي جميع هذه الحالات يجب على الآباء أن يواجهوا الواقع بشجاعة، فلا يثورون، ولا ينساقون في فرض العقاب على الطفل، بل يخضعون انفسهم لمحاكمة ذاتية ويراجعون اسلوبهم في تربية ابنائهم. ويعيدون النظر فيه، وسيكتشفون انهم هم الذين تسببوا للطفل بما آل اليه من انحراف في السلوك، وان بمقدورهم مساعدته، وتخليصه من براثن وحش الانحراف، بعد تشخيص الحالة، وتحديد الدافع، ووضع خطة جديدة لنظام تربوي جديد يسود الوسط العائلي. ان كان الدافع محصلة لتصرفاتهم. او ابعاد الطفل عن البيئة الاجتماعية الخارجية التي ساهمت في تكوين الدافع، سواء بنقله الى مدرسة اخرى، او بثنيه عن مخالطة عشراء السوء، وحثه على الانخراط في بيئات اجتماعية جديدة. بعد تهيئة الظروف المناسبة لمثل هذا الانخراط.

الفصل الثالث

الخجَل أو الإستحياء

الخجل شيمة في الإنسان يكتسبها في حياته الاجتماعية، كردة فعل طبيعية للحرج الذي يصادفه في بعض المواقف، أو في مواجهة بعض الاشخاص.

ولا تُخشى معه عواقب غير محمودة، ان هو اقتصر على سلوك متحفظ او متردد عند مواجهة هذا الموقف أو ذاك الشخص، تعقبه مبادرة متوازنة، واندفاع معقول للاندماج في الحالة الجديدة القائمة.

فلا يشكل الخجل عيباً في الصغار او في الكبار، ان أخذ مثل هذه الصورة، كأن يتردد الطفل هنيهات قبل أن يقبل على وجه جديد من اقرانه او من الكبار، او قبل أن يتبادل اللعب والحديث مع مجايليه، أو قبل أن يرد التحية لشخص جديد عليه، بادره بالتحية، أو قبل أن يندمج في لعبة الكرة أو غيرها من النشاطات، مع اقرانه في المدرسة، في اليوم الاول.

هذا السلوك السلبي هو تعبير عن رغبة الطفل في التعرف على الجو الجديد الذي يواجهه، تمهيداً لاقتحامه والدخول فيه. وهذا ما سنعبر عنه بكلمة استحياء او حياء ، في حين سنطلق تعبير الخجل على الحالة الاخرى الشاذة، وهي موضوع هذا البحث، اي السلوك السلبي الذي يواجه به الطفل مجتمع الآخرين، لا سيما خارج الاسرة.

بالنسبة للاستيحاء ، فإن ادبيات الامم والشعوب، ما زالت تعتبره فضيلة في البنات، ونوعاً من الحشمة في الصبيان. وفي المأثور عن الشعوب والامم الشرقية، ولا سيما العرب والمسلمين، أن البنت الحيية، تكون سوية، في حين توصم بالوقاحة أن تصرفت مع الآخرين بلا خفر ولا استحياء . أما الصبي فالمأثورات تعتبره سوياً حينما يوفق بين شجاعته الأدبية وبين التزامه بالقواعد والنواميس المطبقة في المجتمع،في ما له صلة بعلاقته بالغير افراداً ومجتمعاً.

وبما ان الانسان كائن اجتماعي بالفطرة، فان الطفل سرعان ما يتأقلم مع محيطه الاجتماعي (الأسري والمدرسي) فيأخذ منه عاداته وسلوكه وأساليب تعامله مع الأشياء، والأشخاص، والمواقف، فهو يعتاد على ما يرسمه له المجتمع من عادات في ملبسه، وهندامه، ومن اساليب في تناول حاجته من الطعام، او في قضاء حاجته عند التبرز أو التبول، أو في

تعامله مع الأشياء، كطريقة جلوسه، وطريقة مشيه، وطريقة نومه، أو في تعاطيه مع الأشخاص، كطريقة مواجهتهم بالتحية، ومكالمتهم، وتبادل الحديث معهم.

فإذا صادف أن ارتكب الطفل خطأً ما، في سلوكه، كما لو واجه الآخرين عارياً، أو أغفل مبادرتهم بالتحية، أو تردد في رد تحيتهم بمثلها، أو أبطأ في الجواب على سؤال وجهه له احدهم، أو أخطأ في تناول طعامه فلم يحسن قص اللحم بالسكين والشوكة، وكان جائعاً فلمسك الطعام باصابعه، أو قلب بحركة لا إرادية كوب الحليب، فسال اللبن على الطاولة، أو لوث ثيابه بالمرق، حينئذ سيواجه أحد هذه الاحتمالات:

- إما أن تتوجه اليه الانظار، فيقرأ فيها الملامة، أو السخرية، أو الاشمئزاز، فيرتبك ويُسقط في يده. ويساوره شعور عميق بالنقص، أو الاحباط.
- وإما أن يواجهه أحد الحاضرين بكلام يتضمن لوماً صريحاً، وقد يصل الى حد التوبيخ والتجريح، وهنا سيكون الاحباط عند الطفل أعمق وأبعد أثراً.
- وفي حالة ثالثة، قد توجه للطفل عقوبة أشد، جزاء ما ارتكبه من خطأ. وتكون درجة الاحباط أكثر وطأة عليه.

هذا الطفل سيكون عرضة لمركب النقص اذا كان

حساساً. وفي أحسن الحالات، فانه سيتعرض للارتباك كلما واجه الموقف نفسه، مخافة أن يخطىء ثانية. وهذا الشعور سيولد عنده مخاوف وهواجس تقوده حتماً الى الخجل، بمفهومه كسلوك نفسي غير طبيعي.

إذن، فالخجل بهذا المفهوم، هو ردة فعل للاحباط الذي يصاب به الطفل جراء ما تواجهه به البيئة الاجتماعية من عقوبات على الاخطاء التي يرتكبها اخلالاً بالقواعد والنواميس المتعارف عليها.

والحالة نفسها قد تجد لها موضعاً، في المدرسة، كأن لا يفطن الطفل الى انه المقصود بسؤال وجهه اليه المعلم، فلا يعيره اهتماماً، ولا يقف استعداداً للجواب، وسرعان ما تتوجه اليه كل الأنظار، وهو في غفلة عن السبب، ثم تتحول النظرات الى ابتسامات، فالى قهقهات سخرية، يكتشف الطفل معها انه هو المقصود، فيسقط بيده، ولا يتمالك نفسه، ثم انه يتلعثم في الجواب، هذا إن استطاع أن يستعيد بعض رباطة جأشه. هذا الطفل سيعاوده ارتباكه كلما كان مطلوباً منه أن يجيب على سؤال، وسيؤدي به ارتباكه الى توتر نفسي، يقوده الى حالة الخجل.

فالخجل على هذه الصورة، هو محصلة للاحباطات

الصغيرة التي يواجهها الطفل خلال المراحل الاولى لإندماجه في المجتمع. وهي احباطات ناتجة عن عدم قدرة الطفل على التكيف مع قواعد هذا المجتمع ونواميسه، التي يفرضها الكبار على الصغار، وتفرضها الجماعة على الفرد.

وليس الخجل، بحد ذاته، خطراً، بل ان الخطر يكمن في النتائج المترتبة عليه، خصوصاً حينما يتمكن من الطفل فيعيق اندماجه في الحياة، ويمنعه من مشاركة اقرانه في نشاطاتهم، مما يؤول به الى الجمود فالخمول، متجنباً التواصل مع الآخرين، والارتباط بصداقات مستديمة معهم، نافراً ممن يوجه اليه أية ملاحظة تنم عن نقد لتصرف من تصرفاته. وبالتالي فإن طفلاً كهذا، سوف يكون عديم الخبرات بسبب بعده عن الغير وانطوائه على نفسه.

مظاهر الخجل عند الأطفال

الخجل، كسلوك، متعدد المظاهر، حيث لا يمكن حصر مظاهره وتجلياته، لذا نكتفي هنابعرض بعض المظاهر التي تنم عن هذا السلوك وهي أربعة:

١ ـ النفور من الناس: يأخذ الخجل في الأعم الأغلب شكل النفور من الناس والامتناع عن مخالطتهم، وتجنب

محاورتهم، والابتعاد عن تجمعاتهم في البيت، والمدرسة. وهنا يتحول المصاب الى انسان شاذ منغلق على ذاته، غارق في هواجسه ومخاوفه واحلام يقظته. فهو في البيت لا يعاشر من اخوته إلا الاصغرين، الذين يسهل انقيادهم، وهو في المدرسة لا يعاشر أحداً، أو يخالط من هم على شاكلته من المصابين بالانطوائية، ويسهل عليه اكتشافهم، واقامة علاقات محدودة معهم، علاقات تفرضها الظروف الخارجية، كأن يحتاج للاستفسار عن مسألة تتعلق بالواجبات المدرسية، أو بمواعيد العطل والاعياد، أو غير ذلك مما يصادفه في حياته كتلميذ، حينئذ نراه يقبل على قرين له خجول، فيتداولان همساً بالموضوع، ولا يطيلان تبادل الحديث كثيراً، ثم يلوذ كل منهما بالصمت والعزلة.

هذا الطفل تأكله الغيرة وينهشه الحسد حين ينظر الى اقرانه الأسوياء يتصرفون ويتكلمون ويلعبون بصورة طبيعية، وهم في كل ذلك فرحون سعداء. وقد يتمادى مثل هذا الطفل في غيرته وفي حسده، ليتحول الي انسان حاقد على الأسوياء الاصحاء من اقرانه او اخوتـه. وقد يؤدي بـه حقده الى مضاعفات اشد خطراً كالكذب والسرقة والعدوانية، وقد أشرنا الى أن الكذب والسرقة قد يكونان بدافع الكيد للآخرين والانتقام منهم. والانتقام هنا ـ أي في حالة الخجل ـ يكون

انتقام العليل من الاصحاء، وانتقام المنحرف من الاسوياء .

٢ ـ **مجانبة الكلام** : وقد يأخذ الخجل شكل مجانبة الطفل للتكلم مع الآخرين، بحيث يظل صامتاً طوال الوقت، لا يبادل اقرانه الحديث ولا يجاذبهم اطرافه، واذا سئل لا يجيب، وان اجاب، يتلعثم، أو يقتصرجوابه على كلمة نعم او لا، أو على عبارة : لا اعرف ، أو يهز كتفيه ويميل عن السائل متشاغلاً، وإذا طلب منه المدرس جواباً محدداً عن سؤال، فإنه لا يحسن استجماع فكره وسكب معلوماته في قالب صريح ومحدد، فتراه يترنح في وقفته زائغ النظرات، محمر الوجنتين والاذنين، وتسمعه مستطرداً في افكاره، لا يحسن تنسيقها وحصرها في سياق الموضوع المحدد، بل يتنقل بها من نقطة الى اخرى دون ترابط او تلازم.

والاغرب في حالة كهذه ، ان يكون الطفل مستوعباً للجواب، ملماً بتفاصيله، ومدركاً انه كذلك، بيد انه لا يتمالك نفسه ان ينهار، ويضعف، ويتلعثم، ويتردد، فلا يحسن التعبير عما يجيش في خاطره.

٣ ـ **مجانبة النشاطات والاجتماعات العامة** : وهي حالة خاصة، اذ قد يكون الطفل مندمجاً في الاسرة وفي البيئة المدرسية، غير أنه ينفر من الأنشطة والاجتماعات العامة خارج

نطاق الاسرة، ونطاق صفه المدرسي، فهو يتجنب المشاركة في الرحلات المدرسية أو في الحفلات التمثيلية، أو الأنشطة الفنية، أو الرياضية، او الكشفية. وهذه حالة أقل خطرا، ويمكن معالجتها بوضع الطفل تدريجيا في مواجهة الأنشطة الجماعية، وتشجيعه على الانخراط فيها. وفي التجمعات العامة.

٤ - **مجانبة بعض المظاهر والمواقف والأشخاص** : وهنا يرصد الباحثون وعلماء النفس والاطباء في العيادات النفسية أشكالاً مختلفة : كأن يخجل الطفل من لبس المايوه والنزول الى المسبح، أو أن يخجل من ارتداء ثوب جديد. أو أن يخجل من مواجهة اصدقاء والده، أو صديقات والدته، أو أن يخجل من مواجهة ومحاورة معلمه خارج الصف، أو مديرة المدرسة أو ناظرها، أو أن يخجل من دخول السوبرماركت أو الحانوت لابتياع بعض الحاجات بناء على طلب أمه أو أبيه. أو أن يخجل من أكل الساندويتش في الشارع أو في ملعب المدرسة، أو أن يخجل من دخول المرحاض على مرأى من الغير، أو أن يخجل من مواجهة الناس بشعر صففه له المزين لتوه، فلا يلبث أن يبعثره أو يعيد تصفيفه على طريقته، أو أن يخجل من القاء درس المحفوظات انشاداً، أو أن يخجل من العدو، أو من القفز العالي، أو رمي الكرة أو الرمح خلال درس

الرياضة البدنية، أو أن يخجل من ارتداء المعطف اثناء فصل البرد، أو من ارتداء زي معين كاللباس الكشفي، أو ثياب الرياضة.

وهذه الاشكال المتنوعة من مظاهر هذه الحالة من حالات الخجل، تظل عارضة ومحصورة في نطاقها الضيق، وقابلة للعلاج بسهولة. وبمقدور الآباء ان يرفعوا معنويات ابنائهم تدريجياً للتخلص من هذه الاشكال البسيطة والمحددة من الخجل.

دوافع وأسباب الخجل عند الأطفال

بعد أن استعرضنا مظاهر الخجل عند الطفل، من المفيد أن نستعرض دوافع هذا الخجل في مظاهره المختلفة. وهذه الدوافع عديدة ومتنوعة وابرزها ثلاثة:

١ - مركب النقص: ان مشاعر النقص التي تعتري نفسية الطفل، تشكل الدافع الاقوى للخجل.

ومركبات النقص متعددة الاسباب، فمنها ما ينجم عن عاهة جسمية خلقية، كالشلل أو قصر القامة، أو النحول، أو ضعف السمع، أو ضعف البصر، أو التأتأة بالكلام، أو العرج، أو السمنة المفرطة، أو طول القامة المفرط، أو ضخامة الأنف.

أو احديداب الظهر وتقوسه، أو إعوجاج الساقين، أو نتوء الاسنان، أو اصفرارها، أو اصفرار العينين، أو ظهور البثور والحبوب والشامات في الوجه والكفين.

ومن مركبات النقص ما ينجم عن الفقر والقلة، بحيث تكون ملابس الطفل رثة، او يكون هزيل الجسم نحيله بسبب سوء التغذية، أو أن يعوزه المصروف، أو بعض الكتب أو الادوات المدرسية، ولا يكون قادراً على اقتنائها.

وأحياناً قد يتناهى الى مسمع الطفل، ومنذ نعومة اظفاره، ما يشير الى انه غير وسيم قياساً على وسامة اخيه، أو انه قبيح المنظر، فتترسخ هذه الصورة في ذهنه، ويتأكد منها يوماً بعد آخر عبر المرآة، فلا يلبث أن يقع فريسة مركب النقص، الذي يقوده الى الخجل.

٢ - **ضعف القدرات العقلية والذهنية** : إذا كان الطفل يعاني من ضعف في مداركه العقلية وقصور في مداركه الذهنية، فإن قابليته على التأقلم مع البيئة، وعلى التعلم، تكون ضعيفة ومحدودة، وبالتالي فانه سيسمع الكثير من الملاحظات، حول ذلك، كما انه سيشعر انه مقصر عن اقرانه واخوته، فيتملكه مركب نقص، ويكون سبب الخجل مزدوجاً في مثل هذه الحالة.

٣ ـ **التأخر في التحصيل الدراسي** : يمر بعض الأطفال بظروف صحية، أو عائلية أو نفسية تحول بينهم وبين اتقان دروسهم، ويوماً بعد آخر تتراجع وتيرة تقدم الطفل، ويفاجأ في آخر الفصل بمعدلات منخفضة، مما يسبب له احباطاً مفاجئاً يتفاقم فيما بعد لينعكس سلوكاً خجولاً مقعداً عن استعادة الوتيرة السابقة لاكتساب العلم، والتقدم في احرازه.

فالتأخر الدراسي قد يؤدي الى الخجل والعكس ليس صحيحاً دائماً، إذ يمكن أن يكون الطفل ذكياً ومتفوقاً في دروسه، وخجولاً في الوقت ذاته. كما ان التأخر الدراسي لا يعني قصوراً في الذكاء دائماً، فقد تكون أسبابه خارجة عن الذكاء ونسبته، ومتصلة بعوامل خارجية، كالبيئة الأسرية، والكسل، واعتلال الصحة، والاضطرابات النفسية التي تلازم عادة بعض مراحل النمو عند الاطفال والاولاد والمراهقين .

كيف نعالج خجل الأطفال

في البداية ينبغي أن نؤكد ان الخجل هو أيضاً سلوك مكتسب ولا علاقة للوراثة به ثم نؤكد أن علاج الخجل ممكن وسهل . ويقوم على قاعدتين :

١ ـ **العلاج الوقائي** وهو يقوم على رعاية الولد جسدياً

وروحياً ونفسياً، منذ نعومة اظفاره ومطلع وعيه، الى أن يبلغ أشده وهذه الرعاية تجنب الولد عاقبة السقوط في افة الخجل. ويكون ذلك بتجنيبه السقوط في مسببات الخجل الآنفة الذكر، فنسهر على سلامته الجسدية، وتقوم عاهاته الجسدية، ونرعى سويته النفسية، وننفخ فيه روح المبادرة، وننمي حسه الاجتماعي، ونساعده على تجاوز ما يعترضه من عقبات في دروسه، وفي هندامه، ونسعى الى سد احتياجاته المادية والنفسية، ونحيطه بجو حميم من العاطفة الدافئة، وندفعه الى تقدير ذاته حق قدرها، والموازنة بين تقدير الذات وتقدير الآخرين.

٢ ـ **العلاج المتأخر** : لكن كيف نعالج طفلاً مصاباً بالخجل ؟

هنا نبدأ بازالة اسباب الخجل، ووقف مضاعفاتها، فاذا كانت الاسباب مادية نلغيها، ونوفر للطفل احتياجاته لتعود اليه الثقة بالنفس، واذا كان السبب تأخره في المدرسة، نساعده على رفع وتيرة تحصيله، وإنقاذ ما تبقى من عامه الدراسي، أو نؤمن له دروساً اضافية في العطلة الصيفية، واذا كانت الاسباب من نوع الاحباطات الصغيرة، فما علينا إلا أن نرفع معنويات الطفل، وأن نغسل دماغه من مؤثرات الماضي، ونطمئنه الى أن الخطأ مرادف للصواب، ومن يعمل يخطىء، وان الخطأ

يعالج بالشجاعة في مواجهة الظروف والمواقف المماثلة للموقف او للظرف الذي ارتكب الطفل فيه الخطأ، الذي تسبب له بالاحباط المؤدي للخجل. وهنا لا بد من التعاون مع الأشخاص المعنيين، الذين شهدوا خطأ الطفل، كالمدرسين، أو أصدقاء الاسرة، أو طبيب العائلة، أو مدرس الرياضة البدنية، أو الحانوتي، أو المزين، أو الجيران. فإذا كان الطفل قد تسبب في كسر زجاج سيارة الجيران، ولازمه بعد ذلك شعور بالاثم، وهاجس بالخوف، فلا بد أن يعلن صاحب السيارة عفوه الصريح عن فعلة الطفل، وان يقنعه ان الزجاج قد كسر نتيجة خطأ مشترك، لأن السائق أخطأ حينما وضعها حيث كانت، وإذا كان الطفل قد تسبب باتلاف قالب الحلوى في محل الحلويات فما على الأهل إلا تعويض خسارة المحل، وعلى صاحبه أن يعلن غفرانه، وان يوضح ان خطأ الطفل لم يكن مقصوداً، وان وضع القالب حيث كان هو السبب المباشر للحادث، لأن القالب كان معرضاً للسقوط أرضاً، عند أدنى مقاربة.

وهكذا فإن معالجة السبب في الأوان المناسب ودون ابطاء سيمنع حتماً وقوع الطفل في الاحباط ويقيه من الخجل.

لكن اذا كان الخجل كسلوك شاذ، قد أخذ مكانه في حياة الطفل، فماذا نعمل؟

الآباء والمدرسون ، والاطباء والجراحون، واختصاصيو العلاج النفسي، قادرون بالتعاون ان يستأصلوا أسباب الخجل الطفولي لا سيما إذا انتبه الابوان او المدرس الى الحالة قبل استفحالها.

وأحياناً لا بد من تدخل الهيئات الانسانية والاجتماعية التي تقدم العون للاطفال الفقراء لتوفر لهم مستلزمات واحتياجات الملبس والمدرسة.

وقد ثبت للباحثين الاجتماعيين، وللمشرفين على العيادات النفسية، ان استئصال الخجل من عالم الطفولة ممكن ويسير. ولا توجد حالة غير قابلة للعلاج. لذا فان على الآباء أن لا يسوفوا كثيراً، حينما يكتشفون أن طفلهم يحمر خجلاً، ويتلعثم، ويشرد ذاهلاً، كلما واجه متغيرات في الوجوه، أو المواقف.

وهنا لا بد من أن نحذر الآباء من تصرفين اثنين : تدليل الطفل، أو قمعه. فالتدليل كالقمع الصارم، كلاهما يسيء للطفل ويؤدي به الى الخجل، وغيره من الآفات النفسية، فالتدليل يجعل الطفل اتكالياً وعاجزاً عن مواجهة مشاكله الخاصة، فيفشل هنا وهناك، ويصاب بالخيبة، ويتحول الى الانطوائية للدفاع عن نفسه، والانطوائية هي صورة الخجل الشديد.

أما القمع والتربية الصارمة، والزجر، فانها جميعها تضعف قدرة الطفل على العمل والانتاج والكفاح، وتعيق بالتالي قدراته الجسدية والابداعية، مما يوفر الجو المناسب للوقوع في الخجل

قليل من الاستحياء .

وإذا كان الخجل مرضا نفسياً يستوجب العلاج، فإن قليلا من الاستحياء، مطلوب ومرغوب فيه للبنات والبنين . في مجتمع كمجتمعنا العربي، ما زال للحشمة فيه مكان محفوظ

الفصل الرابع

الخوف عند الأطفال

إذا كان الخجل شيمة مكتسبة، فإن الخوف، باجماع العلماء، هو انفعال طبيعي تشعر به الكائنات الحية، كلما احست ان خطراً ما يداهمها. فالكبار والصغار يخافـون، والحيوانات تستشعر الخوف في المواقف التي تنذر بالخطر. والخوف بهذه الصورة هو انفعال غريزي، يتملك الكائن الحي عند ما يواجه خطراً اكيداً أو محتملاً، ويتجلى بسلوكٍ حذرٍ متـرقبٍ يسبق مرحلة الـدفاع عن النفس، سـواء تحققت بالمواجهة أو بالهرب.

فالشعور بالامان هو نقيـض الشعور بالخوف، فاذا وضع الانسان في جو من الامان والطمأنينة، فان مشاعر الخوف لن تجد اليه سبيلاً.

ومثلما تتعدد اشكال الخطر الذي يتهدد الإنسان، وتتنوع مسبباته، وتختلف درجات سطوته، فان الشعور بالخوف يأخذ

هو الآخر اشكالاً وأحجاماً ودرجات مختلفة، فهو قد يأخذ شكل الحيطة والحذر المشروعين، أو شكل التوتر المصحوب بالتحفز والاستنفار، أو شكل الهلع والرعب. وهو في حالاته الثلاث مشروع ومبرر، إذا كان متأتياً عن خطر حقيقي ماثل أو محتمل، ولا شأن للوهم والهواجس في تكوين الانطباع الداخلي بوجوده.

اما اذا كان الخوف ، كسلوك ، مبنياً على اوهام ينسجها الخيال، او تغزلها الخرافة، او تصنعها الهواجس، فانه يكون حالة مرضية تستدعي المعالجة.

واذا كان ما يهمنا هنا ظاهرة الخوف عند الاطفال، ودور الاهل في الوقاية منها، وعلاج الظاهرة حينما تأخذ شكلاً حاداً، فإن تسهيل البحث وتيسيره يتطلبان دراسة الخوف وفق التصميم التالي :

١ - بواكير الخوف الطفولي .

٢ - كيف يتعاطى الآباء مع مخاوف ابنائهم ؟

٣ - الموضوعي والوهمي في خوف الأطفال.

٤ - بعض مظاهر الخوف عند الأطفال.

٥ - الخوف كسبب لانعدام الثقة بالنفس.

٦ - وسائل الاعلام ودورها السلبي.

٧ - نصائح للاهل .

بواكير الخوف

في مراحل الطفولة المبكرة، يمكن ان تظهر عند الأطفال بواكير الخوف، وهي غالباً ما تتسبب عن الأصوات العالية التي تثير خوف الطفل، فيرتعب، وقد يأخذ في البكاء، ولا يطمئنه بعد ذلك غير صدر أمه، حيث يستعيد الشعور بالامان.

ومع فجر السنة الثانية، تتطور ملكة الحذر في الطفل، وتتعدد مثيرات الخوف وتتنوع، فهو يخاف إذا زلت به القدم ووقع أرضاً في مرحلة مشيه الأولى، حتى ولو لم يشعر بالالم، وهو يفزع من الوجوه الغريبة، ومن الأماكن التي لم يألفها، ويحاذر من الحيوانات والطيور التي لم يسبق له أن شاهدها، كما يخاف من مواجهة التجارب والخبرات المؤلمة التي سبق أن مر بها، كابرة الطبيب وعيادته ومعداته الطبية. وهو يخاف مما يخاف منه الكبار في بيته، فيسقط على نفسه مشاعرهم التي يتحسسها، فاذا كان من حوله يخافون من الرعد، او من الكلاب، أو من وميض البرق، أو من امواج البحر، أو من السيارات، فإن الطفل، كمقلد ماهر، سيشعر بالخوف من هذه الأشياء، دون أن يكون، شخصياً، مقتنعاً بانها تشكل مصدر خطر؛ وعلى العكس، فإن بعض الأطفال يستلطفون الكلاب، لكنهم يخافون منها ويحاذرون أن يقتربوا من أحدها، متأثرين

بخوف الآباء أو الاخوة الكبار من هذه الحيوانات. والأمر ذاته قد ينطبق على البحر، والبرق، والرعد، والمطر، والسيارات، والدراجات، وغيرها من مثيرات الخوف.

وتتطور مشاعر الخوف مع تطور نمو الطفل. وتأخذ في تطورها أحد اتجاهين:

١ ـ **عكسي**، بمعنى أن الخوف يضعف ويتلاشى تبعاً لتنامي مدارك الطفل وقواه الجسدية.

٢ ـ **وطردي**، بمعنى أن الخوف يتضاعف ويستفحل، ويزداد حدة، تبعاً لتنوع المثيرات، وازدياد الفرص التي يتعرض فيها الطفل لتلك المثيرات، جراء اضطراره للخروج من المنزل ومواجهة الحياة في مجتمع المدرسة. بعيداً عن حماية الاهل.

كيف يتعاطى الآباء مع مخاوف الأبناء؟

معظم الآباء يصرون على أن ابناءهم لا يخافون، ولا ينبغي لهم ان يخافوا، فينهرون الطفل اذا بدرت منه بادرة تنم عن خوف، ويقمعون في ذاته هذه الانفعالات الطبيعية.. وانهم بذلك لمخطئون، لأن اسلوبهم هذا قد يتسبب في إرباك الطفل، وتعقيد شخصيته، وزيادة المخاوف عنده.

والآباء الذين يفهمون سيكولوجية الطفل، يدركون ان الخوف، كسلوك وقائي، هو انفعال غريزي فطر الانسان عليه. كصورة من صور الدفاع عن النفس.

وليس أخطر من قمع هذه المشاعر، سواء بالزجر، أو بالعقاب، أو بالتشهير، وهذا الاخير هو الاسوأ أثراً، فإذا لجأ الآباء الى التشهير بالطفل والسخرية من خوفه أمام الآخرين، حتى وان كانوا اخوته، وهم يتوهمون انهم بذلك يعالجونه من الخوف، فانهم يزرعون في نفسه اول بذور مركب النقص، وأول بذور العصبية والميل للمشاكسة، فالطفل الذي يخاف، يبرر في ذاته هذا الخوف، ويجده مشروعاً، فإذا سخر ابواه من سلوكه هذا، فانه سينتهي الى احد احتمالين:

١ ـ سيطرة مركب النقص عليه، بحيث يخيل له أن شاذ قياساً على الآخرين، الذين لا يخافون، ويسخرون من خوفه.

٢ ـ الاقتناع بصواب موقفه، وبمشروعية خوفه، واعتبار ما يصدر عن ابويه، من تشهير به وسخرية من سلوكه، نوعاً من الاضطهاد، يستوجب ـ حسب رأيه ـ أن يواجه بالتحدي، فتسوء علاقته بابويه، وينفر منهما، ويحقد عليهما، ويتحول الى العناد والمشاكسة يدافع بهما عن نفسه، او الى العصبية يخفي ضعفه خلفها.

بين الموضوعي والوهمي

وسواء تعامل الآباء مع مخاوف ابنائهم بتعقل وحكمة، أو اساءوا فهمها، فإن أول خطوة على طريق العلاج من الخوف، تتمثل في تشخيص العلة ومعرفة بواعثها، لتقدير ما اذا كانت تندرج تحت عنوان البواعث الموضوعية، او انها من صنف البواعث الوهمية.

ولكي يكون التشخيص ممكناً، لا بد ان تعطي بعض الامثلة، لجلاء الموضوعي وبيان طبيعة الوهمي.

فالبواعث على الخوف او مثيراته تكون موضوعية، كلما كان الخطر المتوقع منها حقيقياً وداهماً، أو قريب الوقوع، فلو أبصرّ الطفل ثعباناً، ففزع وهلع، وصرخ، وهرب مذعوراً، فإن خوفه مبرر ومشروع وموضوعي. كذلك لو امتدت يد الحريق الى سرير الطفل او الى الستائر في غرفته، أو الى أي ركن من أركان المنزل، أو قاعة الدرس، فإن ما يساور الطفل من ذعر حيالها، هو سلوك مبرر وموضوعي. والامر نفسه ينطبق على طفل يخاف من الطبيب وحقنه، ومن الشرطي وهراوته، ومن دوي المدافع ،ازيز الرصاص ، ومن قصف الرعد ووميض البرق، ومن أمواج البحر والحيوانات المفترسة، ومن

الحشرات السامة، والسيارات التي تعبر الشوارع مسرعة.

ويختلف الأمر إذا كانت مثيرات الخوف وبواعثه وهمية، كالعفاريت، والجن، او كانت حقيقية لكن غير خطرة، كالحيوانات الأليفة، والحشرات غير السامة، أو كانت مجرد مواقف يعتبرها الطفل حرجة، كالامتحانات المدرسية، أو زيارة المرضى، أو العبور قرب أضرحة الموتى، أو ركوب الطائرة، أو الضغط على زر لانارة المصباح الكهربائي، أو مواجهة العتمة، أو الاقتراب من قفص الكنار، أو صعود السلم الخشبي، أو الجلوس قرب حافة الشرفة على الرغم من وجود حاجز، أو الركون الى العزلة والوحدة، أو رؤية فأرة أو حرباء أو دجاجة، أو عبور الشارع ضمن الممرات المخصصة للمشاة، أو سماع مدفع الافطار، أو مشاهدة جندي، أو رؤية سيارة اسعاف عابرة.

ان خوف الطفل من هذه المثيرات، هو خوف مشروع إذا أخذ شكل الحيطة والحذر والترقب. أما إذا تجاوز ذلك الى حالات الهلع والذهر والرعب، ورافقه رعدة، واصفرار لون، وجحوظ عينين، أو زاغ البصر وتوترت الاعصاب، وتصلبت العضلات، واستحوذ العياء، وانفجر الصراخ، فان الطفل يكون في حالة الخوف المرضي غير المشروع، وغير المبرر.

بعض مظاهر الخوف عند الأطفال

١ - بعض الأطفال يخافون من الكلاب سواءً كانت ضارية أو وديعة. فلا يقاربونها، ويرتعدون خوفاً لرؤيتها، وهذا الخوف يكون موضوعياً، إذا لم يكن الطفل قد الف منظر الكلب من قبل، أو اذا كان الكلب ضارياً، أو مخيف المنظر.

وفي معظم الحالات، تؤكد الدراسات الجارية على هذه الفئة من الاولاد، أن خوفهم من الكلاب والقطط والحيوانات الأليفة، والطيور الداجنة، هو خوف مكتسب من الآباء، الذين يزرعون بتصرفاتهم، أو بحكاياتهم وملاحظاتهم، مشاعر الخوف في نفوس اطفالهم.

٢ - وثمة أطفال يخافون الظلمة، فلا يطيقون عليها اصطباراً، وهذا الخوف يبقى مقبولاً إذا لم يأخذ صورة الرعب والهلع. ولم يترافق مع هواجس الغول والجن والعفاريت الموهومة.

٣ - وبعض الاطفال يخافون من المرض ويخشون من انتقال العدوى اليهم، فيجانبون المرضى، وهم محقون في سلوكهم، شرط أن لا تتحول مخاوفهم الى وسواس يقضي على مضجعهم.

٤ ـ ومن الاطفال من يخافون من حانوت الجزار، وادواته، وساطوره، وسكينه، ومن آثار الدم فيه. وهنا لا ينبغي أن نلومهم ونعنفهم، بل يكتفى بتصحيح الصورة في اذهانهم، على أن الجزار وادواته انما هي في خدمتهم، وقد أحل الله للانسان أن يذبح الخروف والشاة والبقرة ليتغذى بلحمها، ولا غضاضة على الجزار أن هو نذر نفسه لتوفير هذا الغذاء الضروري للآخرين.

٥ ـ ومعظم الأطفال يخافون من الطبيب ومن عيادته، وحقنته، ومن المستشفى والصيدلية، لأنهم يختزنون تجارب مرة عن الحقنة، والمبضع، وغرفة العمليات، والدواء.

مثل هؤلاء الأطفال بحاجة أيضاً لتصويب الصورة في وجدانهم، حيث يقدم الطبيب والممرضة والجراح على انهم ملائكة الرحمة، والمنقذون من الهلاك. وتقدم ادواتهم والعيادات والمستشفيات والصيدليات، على انها مواطن الشفاء واماكن المعالجة والوقاية من الاوبئة والامراض والعاهات والعلل.

٦ ـ واحياناً يتجاوز الطفل هذه المثيرات الملموسة الى مثيرات غير ملموسة، كالخوف من الموت، وهنا تبدو المسألة أكثر تعقيداً ويجب البحث عن الاسباب التي دفعت بالطفل الى التفكير بالموت، وسيجد الآباء أن طفلهم قد شهد واقعة

موت، أو أنه استحضر ما يشاهده في الافلام السينمائية، أو على شاشة التلفزيون، واذ ذاك على الآباء أن يشرحوا للطفل أن الموت لا يأتي دون سبب، وان يعمقوا ايمان الطفل بالله وثقته بنفسه، وبقدرة الطب على التخفيف من مخاطر الموت.

الخوف وانعدام الثقة بالنفس

أهم مخاطر الخوف كسلوك مرضي، أن يتسبب للطفل بانعدام الثقة بنفسه، واحياناً فإن عدم الثقة بالنفس يقود الى الخوف.

فالتلميذ الذي لا يثق بنفسه يخاف من مواجهة اسئلة المعلم، ويخاف من الامتحانات، والطفل الذي يخاف من المعلم، ومن الامتحانات، سيجد نفسه عاجزاً، فيصاب بمركب النقص وتنعدم ثقته بنفسه.

وهكذا نجد أن التلازم قائم بين الخوف وبين انعدام الثقة بالنفس. لذا ينبغي حماية الطفل من الخوف كي لا يؤدي به الأمر الى ما هو اسوأ من الخوف، أي الى انعدام ثقته بنفسه، أو ضعف هذه الثقة.

ومن اجل ذلك يتعين على الآباء والمربين وعلى البيئة

المحيطة بالطفل المصاب ببوادر الخوف، أن تساعده على التخلص من اوهامه، وذلك بتجنيبه مثيرات الخوف في المرحلة الاولى، ومن ثم الانتقال الى تخفيف شأن هذه المثيرات تدريجياً في وعيه، وشرح طبيعة المثيرات الحقيقية وتجريدها من الاوهام العالقة بها أو الشائعة عنها، كالوهم السائد بان المقابر مسكونة بالجن، أو الوهم الشائع بان المنازل المهجورة مسكونة بالعفاريت، هذا اذا كان مبعث الخوف مقبرة او منزل مهجور. وهنا يجب التأكيد على الأهل أن يركزوا على مصدر خوف الطفل على وجه التحديد دون غيره، فاذا كان لباعث على الخوف محسوساً كالحيوانات أو الأشخاص، أو لجمادات، أو الظواهر الطبيعية، فإن المعالجة تنصب على الباعث بذاته، فيشرح الأهل للطفل بطريقة علمية طبيعة الباعث ويجردونها من الاوهام. ويؤكدون ان لا خطر منها اذا قوربت أو عوملت أو تم التعاطي معها بصورة طبيعية.

أما إذا كان الباعث على الخوف وهمياً، يتعين مساعدة الطفل على ادراك لا موضوعية أوهامه وهواجسه، وتدريبه تدريجياً على مواجهة الاماكن أو المواقف التي تندرج تحت عنوان المثيرات الوهمية. كانتهاز فرصة معنة للدخول به نهاراً الى المقابر ومعاينتها، أو اصطحابه إلى مزرعة الدواجن، أو الى دائرة البوليس.

دور التلفزيون والصحافة في تعقيد المسألة

بعض البرامج التلفزيونية التي تقدم افلاماً مرعبة، وبعض مجلات الاطفال التي تروي قصص الجن والفعريت والغيلان والسحر، بطريقة غير مدروسة علمياً، تساهم في شحن الأطفال بمشاعر الخوف .

ومن المسلم به أن الاخصائيين في علم النفس، وفي تربية الاطفال ينصحون بابعاد الطفل ، لا سيما في مراحل نموه الاولى، عن هذه العروض، وعن تلك الصور والحكايات التي تحفل بها كتب الاطفال وصحافتهم .

ومن المؤسف ان الرقابة العلمية والتربوية على صحافة الطفل وعلى المنشورات المطبوعة الموجهة اليه، مفقودة تماماً في المجتمعات العربية، حيث لا توجد مراكز أبحاث تتولى وضع أسس وقواعد تنمية ثقافة الطفل، كما لا توجد دوائر خاصة بالرقابة على الكتب والصحف المعنية بهذه الثقافة. وبالتالي فان القيمين على النشر، كثيراً ما يرتجلون موضوعات قصصهم ورواياتهم وتحقيقاتهم وتأتي غير مستوفية الحد الأدنى من شروط الموضوعية .

لكن هل يعني ذلك أن نحجب عن الاطفال مصادر التثقيف، وان نمنعهم من متابعة برامج التلفزيون ؟

الجواب حتماً بالنفي ، بل على العكس من ذلك، يتعين على الاهل توفير الكتب والمجلات وكل مصادر الثقافه للطفل ، وهنا يأتي دور حسن الإختيار ومراقبة المحتوى، واعتماد المؤسسات الناشرة والصحافية التي توحي بالثقة. كما يتعين على الأهل التدخل العقلاني الهادىء في عملية اختيار الساعات المناسبة لمشاهدة التلفزيون، ومعرفة البرامج اليومية، والتأكد من خلوها مما يثير خوف الطفل، أو تقززه، أو رعبه، وبإمكانهم الإستعانة بتسجيلات الفيديو الخفيفة والهادئة والمرحة، كبديل للبث التلفزيوني غير المناسب.

نصائح للأهل

لوقاية اطفالنا من الخوف؛ ولتعويدهم على الثقة بأنفسهم، وتجنيبهم الوقوع تحت سيطرة الوهم، من المفيد أن نعتمد القواعد التربوية التالية :

١ ـ في البدء تأتي المحبة، لذا ينبغي احاطة الطفل بجو عاطفي دافىء مفعم بالمحبة، والحنان، مشفوعين بقليل

من الحزم لجهة ما يجوز فعله، وما لا يجوز.

٢ - على الآباء والمربين ان يساعدوا الطفل على تنمية روح الاعتماد على النفس في ذاته، وتركه يواجه المواقف والاشياء والاشخاص والكائنات الحية والظواهر الطبيعية بعيداً عن مداخلاتهم وملاحظاتهم وانفعالاتهم الشخصية.

٣ - على الآباء والمربين اشعار الطفل بالتقدير، وامتداح مواهبه وابداعاته، وعدم السخرية من اخطائه، وتصويبها دون زجر، وبعيداً عن الملاحظات القمعية او الساخرة.

٤ - على الآباء والمربين تشجيع الطفل على تجاوز مخاوفه، ولا يجوز دفعه الى نسيانها، لأن النسيان يدفنها تحت الرماد، ولكن آثارها وهواجسها تبقى دفينة في النفس وتشكل مصدر قلق وتوتر واضطراب نفسي، وسرعان ما تظهر من جديد.

ان تجاوز الخوف هو الأساس في التربية، اما نسيانه فلا يجدي، بل يعقد الامور.

٥ - يجب ابعاد الطفل عن البواعث التي تثير مخاوفه، وتجنيبه قدر الامكان مواجهة تلك البواعث، لا سيما في السنوات السبع الاولى من عمره، فلا يصطحب الطفل الى مأتم، ولا الى مستشفى، ولا الى حانوت جزار، ولا الى منزل مهجور خرب ، ولا الى حفلة مصارعة عنيفة، او حفلة

ملاكمة ، او مصارعة ثيران، ولا الى السجون او الثكنات العسكرية، او مستشفيات الامراض العقلية.

واذا كان الطفل قد تجاوز السابعة من عمره، وكان اصطحابه الى احد هذه الاماكن ضرورياً ولا يمكن تجاوزه كاصطحابه لزيارة امه او ابيه في المستشفى، او لاستشفائه هو شخصيا، او لغير ذلك من الاسباب الوجيهة، فيستحسن ان يسبق الزيارة تمهيد، بحيث يعطى الطفل صورة مبسطة عن المكان المقصود، وعن سبب الزيارة، وان يوضع الطفل في جو مرح خلال الزيارة، كأن يحمل معه باقة من الزهر للمريض، او اكليلاً من الزهر للمأتم، أو أن يعلمه الأهل كيف يقرأ الفاتحة على ضريح المتوفي، طالباً له رحمة الله والجنة.

٦ ـ يتعين على الأهل تعويد طفلهم قبيل بلوغه على واجباته الدينية، لا سيما الصلاة، شرط ان لا يقترن ذلك بتخويف الطفل من عقاب الله ومن جهنم، بل على العكس من ذلك تماماً، يجب ان يرتبط اداء الفروض الدينية بفكرة الثواب، كرضى الله، والنجاح، والجنة: وترسيخ الايمان بالله يساعد الطفل على الثقة بالنفس، إذا ترافق مع توجيه صالح، واتزان ومرونة في تنمية مشاعر الايمان.

٧ ـ يتعين على الأهل ان يُنَموا في الطفل الخبرة والممارسة

والتجريب، في كل الاتجاهات فلا ينهرونه ان داعب كلباً او قطة، او قتل حشرة، او اقترب من حافة الشرفة، بل يكتفون بتحذيره من مخاطر لمس كلب غريب مخافة العدوى بمرض الكلب، أو من ملامسة هر الجيران، مخافة ان يكون عليلاً، أو من مهاجمة الجرد مخافة ان يعضه فينقل اليه ميكروب الطاعون، او من مقاربة حافة الشرفة مخافة السقوط في الهاوية، وهذه التحذيرات يجب ان تأخذ شكل الاقناع بطريقة منطقية، بعيداً عن التهويل والزجر.

واخطر من ذلك ان يمنع الآباء اطفالهم من اللعب مع اقرانهم بحجة الخشية من انتقال عدوى الامراض اليهم، او منعهم من ركوب الدراجات اطلاقاً، مخافة الحوادث، لان الطفل الذي يرى اقرانه يركبون الدراجات ويمارسون السباحة والرياضة ويتزلجون على الجليد، او يمارسون لعبة «الباتان» ويرى انهم اصحاء غير مصابين ولا يتعرضون للحوادث، فانه سوف لا يصدق والديه، حينما يزعمون ان هذه الاشياء خطرة، ويجب الابتعاد عنها.

وفي هذه الحالات، من المفيد ان نوفر للطفل الجو المناسب لممارسة هذه الهوايات، كأن يركب الدراجة في مكان امين، او ان يتزلج على الثلج تحت رقابة المدرب،

او ان يسبح في بركة مخصصة لمن هم في سنه وبمساعدة الاهل أو مدرب السباحة؛ وان يلعب «الباتان» بهدوء وفي ملعب يتوفر فيه الامان والثقة.

ان احاطة الطفل بجو من التخويف والحذر غير المبرر، سوف تعقده وتقوده الى مركبات النقص، فالى الخوف وانعدام الثقة بالنفس.

وخلاصة القول ان التربية القويمة في البيت والمدرسة، هي خير علاج للوقاية من الخوف، وخير دواء لزرع ثقة الطفل بنفسه.

واذا استحال على الاهل ان يعالجوا هواجس اطفالهم ومخاوفهم غير المبررة، فعليهم حينئذ اللجوء الى مساعدة الطبيب اولاً لاجراء الفحوصات اللازمة بهدف معرفة ما اذا كان الطفل مصاباً بعلل او امراض؛ او بنقص في الفيتامينات او بالمعادن والاملاح اللازمة لسلامة جسده، او بالانيميا (سوء التغذية) ، أو بضعف في سمعه، او بصره، او بضعف في عقله. لأن كل هذه العلل وتلك العوارض، تساهم في تكوين شخصية الطفل.

فاذا كان الطفل سليم البنية خالياً من مثل هذه الاعراض، فلا يبقى غير العيادة النفسية، التي ستساعد الطفل على تجاوز خوفه المرضي.

الفصل الخامس

عندما يكون الطفل مخرباً

ليس كل اتلاف تخريباً ! وليس كل تخريب عملاً شريراً.

هـذه هي القـاعـدة الاسـاسيـة ، وتفسيـرهـا ان حب الاستـطلاع، والرغبـة في التعرف على الاشيـاء والموجـودات التي حول الطفـل، قد تـدفعه الى العبث بهـا، وتحليلها الى اجزاء، ثم العمل على اعادة تركيبها.

والطفـل كلمـا كـان صغيـرا، حـديث العهـد بـالحيـاة وبالموجودات، كلما اشتدت فيه رغبة التحليل والتركيب، فنراه يتفحص كل ما تقع عليه يداه، يمسك بها، يتأملهـا، ويرميهـا أرضاً ليكتشف تأثير ذلك فيها، فاذا انكسـرت وتحطمت نـراه بادي السرور، لأنه اكتشف حالة جديـدة، واذا احدثت صـوتاً عندما ترتطم بالبلاط نراه سعيداً، فيلمهـا ويلقي بها ثـانية الى الأرض ليستحضر الصوت ثانية.

وإذا وقعت في يـد الطفـل الصغير لعبـة، فإنـه يتحسسهـا

بالملامسة، وبالنظر، ويحاول تذوقها فيدخلها في فمـه، حتى اذا احدثت صوتاً معيناً، نراه يبتسم فرحاً لأنه تمكن أن يشـرك حاسة السمع أيضاً في عملية الاكتشاف هذه.

هذا شأن الطفل في شهوره الاولى، حيث عالمه لا يتجاوز حـدود سريـره، أو قفص «البارك» الـذي يحتـوي على لعبـه وأشيائه الصغيرة، فاذا مشى الطفل أو حبا مدحرجاً، فإن آفاق عـالمه تتسـع، فتمتد يـده الى كل مـا حـولـه، يتفقـد التحف والكتب والكراسي والمقاعد، والراديـو والتلفزيـون والصحون والملاعق وكل ما تصل اليه يده، وهو في تفقده لها، عبر تجربة اللمس والامتلاك، سيعرضها للتلف أحياناً، أو للتخريب أو انه سيحطمها، وهذا طبيعي لأن قدرة الـطفل المحـدودة؛ ووعيه المحدود، لا يعيان معنى المحافظة على الأشياء، فضلاً عن أن رغبته في اكتشاف اسرارها قد تقوده الى تمزيقها، او تحطيمها، أو تفكيكها.

والطفل في كـل ذلك يمـارس حقه الـطبيعي في إكتساب الـمعـارف الاولـى، فيـدرك الاوزان والاحـجـام والالـوان والمسـافات، ويتعـرف الى الحرارة والبـرودة، ويتـذوق طعم الاشياء والمأكولات، ويتعلم ما يجهله من اسرار المحسوسات واشكالها ومحتوياتها وطبيعة تركيبها.

الطفل في هـذه المرحلة من حيـاته هـو عالم في مختبر

تجاربه العلمية، ومختبر الطفل هو كل ما حوله، يخصصه للتحليل والتفكيك ويعيد تركيبه من جديد، فيشعر بلذة الاكتشاف، وبسعادة كشف الستار عن المجهول.

اذن لا خطر من ميول الطفل الفطرية هذه، حتى وان تجاوزت اللمس والنظر والتذوق، الى الاتلاف تمزيقاً او تحطيماً أو تفكيكاً.

كل ما يمكن للأهل ان يفعلوه في مواجهة هذا العبث الطفولي الجميل، هو اغراق الطفل باللعب وبالاشياء الجديدة غير المعرضة للتلف، وجمع التحف والأغراض الثمينة والكتب والمجلات ، وابعادها عن متناول يد الطفل. دون ان يشعروه بالاحباط ، اي ان تسبق عملية الجمع هذه، خطوات الطفل الاولى. حتى اذا بدأ يحبوا ويمشي ، لا يجد حوله غير اللعب والأشياء التي تعصى على التخريب، والتي لا تسبب الأذى للطفل.

واذا صادف ان امتدت يد الطفل الى فنجان القهوة او كأس الشراب، فتحطم، فلا يصح ان نصرخ ونثير عاصفة من الاحتجاج، ويكتفى بتسوية الوضع فوراً وتنظيف الأرض، واعطاء الفرصة للطفل بان يحاكم فعلته ويدينها ذاتياً، وذلك بان نشير الى الزجاج المحطم واللطخ التي احدثها السائل فوق البلاط، ثم ننظف كل شيء ونزيل الآثار، أمام عيني الطفل،

دون أن تنم اسارير وجهنا عن انفعال ساخط، وبالطبع، دون ان نبتسم للطفل فنشجعه على ان يكرر فعلته، وبعد تسوية الحال واعادته الى ما كان عليه، نشير الى ذلك بطريقة يستدل منها الطفل على ان ما فعلناه هو الاصل، وان ما فعله هو ليس الا حالة شاذة، جرى تصحيحها.

وليكن معلوماً ان الطفل يدرك كل شيء ويميز الصواب من الخطأ، مهما كان حدثاً.

وكلما تقدم الطفل في النمو الجسدي والعقلي، كلما اتسعت مداركه، ولكن ذلك لا يمنعه من ممارسة حقه المشروع في الاستطلاع والمعرفة والتجريب، فنراه يطور اساليب عبثه، فيفرغ الدواليب والادراج من محتوياتها ويبعثرها، ويميل الى ادوات المطبخ ليدخلها في مختبره، واحياناً تمتد يده الى الخزائن، والى المكتبة، والى الثلاجة، والى زجاجات العطر، وادوات الزينة، والى احواض النباتات الخضراء، والى كل شيء في المنزل او في الحديقة.

وفي هذه المرحلة المتقدمة من عمر الطفولة، اي منذ الشهر الثامن عشر الى السنة الثالثة من عمر الطفل، يتعين على الأهل إحكام المراقبة، وعدم ترك الطفل وحده هنا أو هناك، حتى لا يؤذي نفسه بعبثه، كأن يتذوق زجاجة العطر، أو أحمر الشفاه، أو أن يرمي بالجوارب من النافذة، أو أن يفكك جهاز

الراديو، أو أن يبعثر محتويات المكتبة، أو أن يسكب اللبن أو المـرق في الثلاجـة، أو أن يشعل عـود الثقاب، أو أن يُعمـل السكين في الأثاث، الى آخر ما يمكن ان يقدم عليـه الطفـل فيما لو ترك وحيداً، وبعيداً عن رقابة الأهل.

واذا حصل وأقدم طفل في مثل هذه السن، على مثل هذا التخـريب، فتكـون التبعـة على الأهـل جـزاء اهمـالهم في المراقبة، ولا يحق لهم والحـالة هـذه، أن يعنفوا الـطفل وأن يزجروه ويعاقبوه. بل يكتفى باعادة الحال الى ما كانت عليه، او إزالة آثار التخريب، ومطالبة الطفل ذاته بالمساعـدة على ذلك، حتى اذا نفذت هذه المهمة، تتولى الام او يتولى الأب، شرح الموقف وبيان الاضرار التي سببها الطفل، أو تسبب بها، دون مبالغـــة، أو اسـراف في المهادنـة والـلامبـالاة. ودون انزعاج ظاهر، او تشجيع ظاهر بالابتسام واظهار الفرح بمقدرة الطفل، وطبعاً دون تشهير أو اطراء أمام الغير.

بعض مظاهر العبث الطفولي

أول هذه المظاهر يبدأ كما تقدم، بملامسة المحسوسات الجامدة وتذوقها والاصغاء الى ما تحدثه من اصوات.

وفي مرحلة لاحقة يأتي دور الماء والسوائل، التي تتملك

الـطفـل رغبـة في التعـرف اليهـا، فنـراه يسكب المـاء واللبن والشراب والقهوة والشاي، وكل سائل تصـل اليه يـده، ويجد لـذة في سكبه او في مـلامسته، أو في تحـريكه في الانـاء أو حوض الاستحمام أو حوض السباحة. ويكون بذلك قـد تعلم أول درس في تمييز الجامد عن السائل.

وفي هذه المرحلة من حياة الطفل يستحسن تعليم الطفل السباحة، واعطاؤه فرصة كافية للتلذذ بالحمام. وتعويـده على غسـل يديـه واسنانـه ووجهه. كمـا يتعين على الأهـل تـوفير المعجون الخاص بالاطفال وتعليمه كيف يصنع منه التماثيل، وكيف يحوله من شكل الى آخر، ومن حجم الى آخر.

وفي هذه المرحلة من العمـر، اي بين الثانيـة والثالثـة، يميل الطفل الى الكتابة على جدران المنزل مقلدا بذلك ابويه واخوته الكبار، كما يميل الى انتعال احذية الكبـار، او اعتمار قبعاتهم، او تقليد والده في زيه، لا سيما بالنسبة لربطة العنق، وقيادة السيارة، وحمل ساعة اليد، او تقليد الام، لا سيما في ما خص الماكياج.

ولوقاية الطفل من كل ذلك، علينا ان نـوفر لـه متطلبـات التقليد والمحاكاة، كأن نشتري له سيارة صغيرة، وسـاعة يـد صغيرة، أو دراجة صغيرة، وأن نضع بتصرفه قبعة صغيرة ودفتراً أو أقلاماً، ولوحاً حجـرياً، ودميـة صغيرة مـع ادوات ماكيـاج

مزيفة. ليمارس عليها ما يتفتق عنه خياله من تقليد لحركات الأم أو حركات الأب، أو حركات الاخوة الكبار.

الأطفال المخربون

ما مر ذكره من تخريب يندرج تحت عنوان عبث الطفولة، وينطوي على رغبة الطفل الفطرية باستطلاع ما حوله والتعرف عليه.

لكن هناك اطفال مخربون فعلاً، تتملكهم رغبة في اتلاف وتخريب كل شيء، او اتلاف وتخريب اشياء محددة.

بالنسبة للحالة الاولى، اي الميل الشرير لتخريب اي شيء وكل شيء، يمكن ان نرد الاسباب الى عوامل مرضية او نفسية:

١ - العوامل المرضية عديدة وأهمها:

أ - بعض الاطفال مصابون باضطراب الغدة الدرقية وزيادة افرازها، فتتوتر اعصابهم، وتتواصل حركاتهم بوتيرة متصاعدة، ولا يمكنهم الاستقرار في مكان، وهم في تنقلهم الدائم يعبثون بكل شيء. وتعالج الحالة بمعالجة الغدة الدرقية طبياً.



ب ـ النمو الجسمي الزائد مع انخفاض في مستوى الذكاء وفي النمو العقلي. وفي هذه الحالة يعجز الطفل عن استثمار نشاطه في ما يعود عليه بالنفع، ويميل الى التخريب نتيجة ضعف عقله.

ج ـ النشاط الزائد عن معدله الطبيعي المقرون بنمو جسمي زائد، والمترافقين مع كبت عاطفي، حيث الحياة مغلقة، ووسائل الترويح عن النفس معدومة، والضجر سيد الموقف، وهنا فان الطفل يستنفد قدراته الجسدية والذهنية في اعمال طائشة.

٢ ـ العوامل النفسية :

قد يصاب الطفل جراء الاحباطات الصغيرة التي يتعرض لها في بيئته، بمركب النقص، أو بالشعور بالظلم، او بالشعور بالضعة، وعندئذ يندفع في دروب الانتقام او تثبيت الذات، ولا يرى حلاً لعقده إلا بتخريب ممتلكات غيره، لا سيما من يعتقد انهم تسببوا في ظلمه، أو في قمعه، أو في احباط طموحاته الصغيرة. وهم الأهل أو المدرسة، فيمعن تخريباً بالبيت وأثاثه وبإدوات المدرسة وأثاثها.

وأحياناً يميل الطفل المعقد على الصورة الآنفة الذكر الى إتلاف أشيائه الخاصة، كتمزيق كتبه ودفاتره، وتلويث ثيابه

بالحبر، ومرد ذلك انه يشعر بالذنب لانه مقصر في دروسه، يشعر بظلم السلطة المدرسية له، فيعاقب بافعاله السلطة الابوية، منتقماً بذلك من السلطة كمؤسسة، لا يميز بين هذه او تلك.

نصائح للآباء

اذا شعر الأهل ان الطفل ميال الى التخريب، وان ميله ليس بدافع كسب المهارات، لا سيما اذا كان قد تجاوز الثالثة من عمره، واكتسب من المهارات الاولى حاجاته الرئيسية، فان حالته تستدعي المعالجة، ونبدأ دائماً بالطب الجسدي، ويليه الطب النفسي.

في البداية يعرض الطفل على الطبيب للتأكد من عدم وجود حالة اضطراب في الغدة الدرقية او في الغدد الاخرى. ولتحديد مستوى نموه العقلي ودرجة ذكائه. فإذا كانت النتائج ايجابية. يحال الطفل الى العيادة النفسية.

واهم من العلاج الوقاية. وهنا نتوجه للاباء بالنصائح التالية:

١ - اشعار الطفل منذ مولده بالطمأنينة والامان، وغمره بالقدر الكافي من العاطفة بعيداً عن التدليل.

٢ ـ عدالة الآباء في معاملة ابنائهم على قدر المساواة.

٣ ـ اشباع حاجة الطفل للاستطلاع واكتساب المهارات، وذلك بتوفير اللعب الكافية، والمتناسبة مع سنه، وتنويع اللعب بين لعب لهو، ولعب مهارات، ولعب ذكاء، ولعب تثقيفية، ولعب حرف، ولعب رياضة ونشاطات جسدية. بحيث نملأ عليه فراغه، ونشبع فضوله، وحب الاستطلاع المتجذر في ذاته وجسده.

٤ ـ لا خشونة ولا لين في تربية الطفل، ولا سطوة قمعية، ولا تساهل، بل مرونة، ومراقبة، وواقعية في بيان ما هو خير وما هو شر.

٥ ـ تنمية روح المبادرة عند الطفل، وصقل ملكة الابداع، وتشجيع مواهبه الفطرية، وتزويده بمستلزمات ذلك، من ادوات، والعاب، ووسائل، وانشطة جماعية. بحيث يعدل الطفل عن التخريب والعبث الى التنظيم والبرمجة.

الفصل السادس

عناد الأطفال ومشاكستهم

هل طفلك عنيد يصر على ان يفعل ما يحلو له، ولا يطيع اوامرك ونواهيك ؟

هل طفلك مشاكس ، يميل لايذاء الآخرين، والاضرار بهم ؟

هل العناد والمشاكسة من الطباع الموروثة او الفطرية، ام هما طبعان مكتسبان ؟

قبل الاجابة عن هذه الاسئلة ، يقتضي ان نوضح ان العناد والمشاكسة هما سلوكان متمايزان باعراضهما ونتائجهما، لكنهما متلازمان، بحيث يولد الواحد منهما من الآخر، فالعنيد مشاكس بالضرورة، والمشاكس عنيد حتماً.

والعلماء متفقون على ان العناد ليس طبعاً، بل هو سلوك يتطبع المرء عليه نتيجة لخلل في تربيته النفسية والاجتماعية .

ويتجلى العناد ، كسلوك ، في امتناع الطفل عن التكيف مع البيئة الاجتماعية، ومع القواعد والنواميس التي تفرضها السلطة المشرفة على هذه البيئة، سواء كانت سلطة الابوين، أو سلطة المدرسة.

فالطفل العنيد يلتزم بموقف معين ويرفض ان يغيره أو يطوره، أو يخضعه لاية مساومة، فاذا رفض كوب الحليب الصباحي، فإن احداً لن يقنعه بتناوله ولا تنفع معه الرشوة ولا الاقناع ولا الزجر ولا التهديد ولا العقاب.. واذا رغب في امتلاك لعبة اخيه والاستئثار بها دونه، فان كل محاولات اقناعه بالعدول عن قراره تذهب عبثاً.. واذا اعتاد على الثرثرة في المدرسة، فان كل ملاحظات المعلم وسخرية التلاميذ، وملاحظات الادارة لن تثنيه عن هذا السلوك.

واشكال العناد عديدة ولا حصر لها، وهي تأخذ مكانها في حياة الطفل منذ مطلع سنته الثالثة ويمكن ان تلازمه الى سن المراهقة، أو انها تفاجىء الطفل في احدى مراحل نموه الجسدي والنفسي؛ ثم لا تلبث أن تتمكن منه وتلازمه طويلاً، أو تكون مؤقتة وملازمة لاحدى مراحل النمو، كمرحلة الدخول الى المدرسة، أو مرحلة احلام اليقظة أو مرحلة المراهقة.

وسواء كانت عادة العناد ملازمة للطفل أو طارئة في حياته،

فإن بواعثها وأسبابها ليست وراثية بالمعنى الفيزيولوجي وليست فطرية. بل هي مكتسبة.

ويؤكد الاخصائيون في الطب النفسي، وفي علم التربية، ان الطفل كائن ذو شخصية مميزة عن الاخرين ومستقلة عنهم، ومن حقها ان تتمايز وتستقل، وبناءاً على ذلك فانهم يسفهون المقولة الشائعة التي تزعم ان الطفل عجينة لدنة يمكن ان نصبها في القالب الذي نريد.

من هنا نستخلص ان العناد في الاطفال هو محصلة طبيعية لتصادم طموحاتهم الصغيرة بنواهي الكبار واوامرهم. أو في وجه آخر محصلة لتصادم قدرات الطفل الجسدية المحدودة مع طلبات البيئة الاجتماعية المحيطة به والممسكة بزمام السلطة.

في وجهه الاول يأخذ العناد الشكل التالي : تطلب الام من طفلها ان يرتدي معطفه لأن الطقس ممطر والبرد شديد، ولأن الطفل يتضايق من ارتداء المعطف الذي يقيد حركته، أو يضيق عليه انفاسه، او لأنه أكبر منه مقاساً وهو مخصص بالأصل لاخيه الاكبر ثم انتقلت ملكيته له بقرار ابوي، او لأن المدرسة تشدد على عدم ارتداء التلاميذ لمعاطفهم حفاظاً على الزي المدرسي الموحد، أو لأن المعلم يطلب من التلاميذ أن يخلعوا معاطفهم في غرفة الصف، ثم لا يجدون أمكنة ملائمة

يضعها، أو لأن المعطف قديم العهد ورث، او ان لونه فاقع تناسب مع البسة البنات، أو هو داكن ويناسب الصبيان، الى غير ذلك من اسباب تولد القناعة عند الطفل بعدم ضرورة ارتداء المعطف، حينئذ يندفع الطفل في معارضة قرار امه، ويبدأ بالتهرب من تنفيذه، فتصر الام وتقدم تبريراتها، فيرفض الطفل ملتزماً بالصمت، ولا ينفع صمته فتحاول اجباره على ارتداء المعطف، ويتحول اعتراض الطفل الصامت الى ثورة فبكاء، وينتهي الامر بالام الى زجر الطفل، ومن ثم الى الزامه بالمعطف، ويصادف أن تنحسر الغيوم ويتوقف المطر وتطلع الشمس، ويشعر الطفل بعد ذلك انه كان على صواب، وان امه قد قمعت فيه رأيه الصائب، فيقرر ان لا يطيع لها امراً بعد ذلك.

واذا صادف في اليوم نفسه ، ان المعلم وجه ملاحظة له، لانه خرج على المألوف المتعارف عليه بالنسبة للزي المدرسي الموحد، أو صادف في يوم مشمس، او انه ارتبك حين حاول خلع المعطف وتعليقه على المشجب، فسقط المعطف ارضاً فأثار سقوطه موجة من الضحك في الصف، لو صادف ان حصل شيء من هذا أو حصل كل هذا، فان الطفل سيسقط احباطاته هذه، على قرار امه التعسفي، وسوف تبدأ رحلته مع العناد.

هـذه الصورة لنشـأة بذرة العنـاد، تعطي الـدليل على ان الآباء، بتصرفاتهم النابعة من قناعات ذاتية، غيـر متناسبـة مع قناعات اطفالهم، واحياناً غير متناسبة مع مقتضيات الواقع، او غير مراعية للظـروف التي يعايشها الطفل، او غير منسجمة مع طموحاته، يولدون عند اطفـالهم شعوراً بضـرورة الدفـاع عن النفس في مواجهة السلطة الابـوية الانـانية او العميـاء، وهذا الشعور يدفع الطفل الى الموقف النقيض، اي الى العناد كردة فعل للقمع الابوي.

واحياناً يظهر العناد كردة فعل على قمع السلطة المدرسية للطفل.

وفي مرحلة المراهقة، يأخذ العناد ابعـاده القصوى، ففي تلك المرحلة يساور المراهق شعور بانه مضطهد ومرذول، وان عليه ان يحقق ذاته، فاذا صادف ان اصطدم موقفه من امر ما، بموقف احد ابويه او احد اقرانه او احد المدرسين، فانه يثور، ويعلن رفضـه، ويتمسك بقـراره الـذاتي، بحجـة انـه ضحيـة اضطهاد الاخرين له.

ويمكن للعناد ان يجد له مكاناً في حياة الطفل، في سنته السابعة، حيث تتملكـه احلام اليقـظة، فلا يعـود قـادراً على التميز بين الواقع والخيالي، وحينئذ يجد نفسه مدفوعاً للتشبث

برأيٍ او موقف، او سلوك، او رغبة، غير آبه بآراء الآخرين ولا بنصائحهم، ويكون الصدام حتمياً، وينتهي دائماً بترسيخ العناد في الطفل.

بعد تشخيص العناد كسلوك شاذ، وبعد بيان المراحل التي يكون فيها الاولاد عرضة للوقوع في العناد، وعرض بعض الظروف التي تشكل الارضية الصالحة لنمو بذرة العناد، من المفيد أن ننصح الآباء بالحرص على المرونة في معاملة اولادهم في كل مراحل نموهم، لا سيما في المراحل العصبية: (الفطام، ظهور الاسنان، السنتان الثالثة والرابعة من العمر حيث تبدأ الحياة المدرسية، السنة السابعة من العمر حيث تتكشف احلام اليقظة، مرحلة المراهقة) ، فلا يعامل الولد بالقسوة والتشدد، ويعطى فرصة لتوضيح موقفه وبيان رأيه، وفي كل حالة يصطدم فيها رأي الأهل برأي الولد، او رأي المربي برأي التلميذ، تراعى بواعث وحوافز تمسك الولد برأيه، فإذا كانت منطقية ومشروعة، فلا يجوز قمعها، بل يتوجب على السلطة الابوية او المدرسية، أن تعيد النظر بصواب موقفها، وان تمتلك الشجاعة الادبية الكافية لتعديله او الرجوع عنه، اما اذا كانت أسباب الولد غير مشروعة أو غير مقنعة، فالأفضل ان يؤجل الحوار ولو للحظات يراجع فيها الطرفان موقفهما، يُستأنف الحوار بعد ذلك باسلوب

مختلف، حيث يكون الاقناع سيد الموقف، لكن لا يجوز أن ينقطع الحوار او ان يرجأ الى وقت متأخر جداً، بحيث تنعدم معه الفائدة المرجوة، ويكون الولد قد ربح المعركة دون وجه حق، فيتملكه شعور بالزهو، يدفعه الى تكرار سلبيته ويتجذر فيه سلوك العناد والمكابرة.

المشاكسة بنت العناد

ومن العناد يتحول الولد إلى المشاكسة، فهو بعناده يحاول تثبيت شخصيته، او الدفاع عن نفسه، او اظهار تفوقه، ولكنه بالمشاكسة، يتحول من موقف الدفاع الى موقف الهجوم، اذ لا يكتفي برفض القواعد السلطوية، بل يخطط للنيل منها ومن الذين يتولون ادارتها، اي من الابوين والاخوة الكبار والمربين والمعلمين.

وتأخذ المشاكسة اشكالاً مختلفة ودرجات متفاوتة، فهي أحياناً مجرد مشاكسة كلامية، تبدأ بفتح نقاش حول قضية معينة، وتنتهي بجدال عقيم لا طائل تحته يديره الولد بمهارة مستفزاً به احد الابوين او المربين.

لنأخذ حالة ولد مراهق مقصر في دروسه، يحاول استباق نتائج الامتحان، فيزعم أمام ابيه أن معلم الرياضيات لا يحسن

شـرح الدرس، او ان معلم التـاريخ يمـالىء بعض التـلاميـذ ويفضلهم على الآخرين، وهو من اجل ذلك يعطيهم علامات لا يستحقـونها. فـاذا استدرج الـولد اباه للمنـاقشـة في هـذه المواضيع، واخذ الاب موقفاً معارضاً في محاولة لاقناع الولد بأن معلم الرياضيات المقصود معروف بانه متمكن من المادة، او بان معلم التاريخ مشهود له بالنزاهة ورجاحة العقل، عندها يكون الولد قد حقق أول نقطة في هدفه، فيمعن في التمسك برأيه، ويعطي البراهين والادلة، ويستشهد بوقائع مزعـومة، لا صحة لها، أو متخيلة، ويحتدم النقاش على غير طائل، وينتهي الامـر بالـولد الى الاحتجـاج على موقف ابيـه غيـر المتفهم! ويعلن انه لم يعد طفلاً وانه اصبح كبيراً وقادراً على التقديـر، وانه يعرف مصلحته، وهي تقضي - حسب زعمه - بان يتدخل والده شخصياً لدى ادارة المدرسة، تفادياً لاحتمال سقوطه في الرياضيات والتاريخ، وأحياناً يطالب الولد بالانتقال الى مدرسة اخرى،

ان وقـوع الأب في هذا الفـخ الـذي نصبه لـه الـولـد، وانجراره الى النقاش العقيم، هو البوابة التي يتسلل منها الولد المراهق الى المشاكسة، التي تأخذ شكلاً كلامياً.

وأحياناً تأخذ المشاكسة طابعاً عنيفاً حين يقدم الولد على تخريب لعبة أخيه، على الرغم من تدخل الاهل، او على القاء

متاع او كتاب أو لعبة من النافذة، أو بضرب شقيقه على مرأى من ابويه، بحجة انه اساء اليه، ولم ينل عقاباً عادلاً منهما، او بقص شعر شقيقته الصغرى، لأنها لم تمكنه من اللعب بدميتها، او بتمزيق قطعة نقود، لأن الام نقدت اخاه او اخته قطعة من فئة اعلى، أو بتحطيم كأس الحليب، لأن امه لم تضف اليه الشوكولا، لعدم وجودها، أو لأنها تسبب له الاسهال.

ان اقدام الطفل على عمل كهذا يخرج عن دائرة العناد ويدخل في نطاق المشاكسة، التي هي درجة متقدمة من درجات العناد، او هي انتقال من الدفاع الى الهجوم.

ولمعالجة الولد طفلاً كان أو مراهقاً من السلوك المشاكس، يستحسن ازالة بواعثه، ومنع تفاقم حالة العناد وتطورها سلباً لتأخذ شكل المشاكسة. وهذا يعني ان نعالج الحالة التي سببت المشاكسة، أي حالة العناد نفسها. وقد أوضحنا في مقدمة هذا الفصل كيف يتكون العناد، وكيف تتشكل حالاته والانفعالات المسببة له، ومراحل النمو التي يتعرض فيها الطفل للوقوع فريسة لهذا السلوك الشاذ.

نصائح للآباء

من اجل الوقاية من العناد والمشاكسة يمكن للاباء اعتماد بعض القواعد في علاقتهم بابنائهم واهمها :

١ - اشباع حاجات الطفل الجسدية والنفسية، من مأكل ومشرب ومصروف وكتب وادوات مدرسية، ومن عاطفة دافئة، لا تبلغ حد التدليل.

٢ - مساعدة الولد على مواجهة المصاعب على اختلافها وتذليلها، لا سيما ما يتصل منها بتحصيله العلمي ، ومظهره اللائق.

٣ - العدل في معاملة الأهل لاولادهم، والمساواة فيما بينهم في الحقوق والواجبات.

٤ - تنمية روح النقد والنقد الذاتي في البيئة الأسروية، والبيئة المدرسية.

٥ - تنمية شعور الثقة بالنفس عند الطفل، ومشاعر الكرامة، وتأكيد حقه بتقدير الآخرين، وواجبه في تقدير حقوق الآخرين واحترامها.

٦ - ترسيخ مفهوم النقاش الهادىء المتوازن في الوسط

العائلي، كوسيلة للتفاهم، والامتناع عن النقاش الحاد بين الابوين على مسمع من اولادهم.

٧ - احترام متبادل بين الأبوين، وثقة متبادلة بينهما، وبينهما من جهة وبين ابنائهم من جهة ثانية، ثم بين الابناء بعضهم مع البعض الآخر.

٨ - تنمية روح الصفح والغفران في الوسط العائلي، ونبذ الحقد.

٩ - تعويد الطفل على ان يقدم اعتذاراً عن الخطأ الذي يرتكبه، وقبول الاعتذار برحابة صدر، وضرب صفح عن الخطأ.

١٠ - اقدام الأهل على الإعتذار من الاولاد كلما كان الإعتذار واجباً وضرورياً. وتعويد الاولاد على قبول الإعتذار وتناسي الماضي.

الفصل السابع

عصبية الأطفال ونرفزتهم

ان تـأثير البيئـة الأسرويـة على الطفـل في مراحـل نمـوه الاولى، هـو الذي يشكـل سلوكه الاجتمـاعي ويرسم خـريطة تكيفه مع المجتمع. فاذا حـظي الطفـل بمناخ عـائلي هادىء متوازن في علاقـاته، فـانه سيكـون بمنجى عن الاضطرابـات النفسية التي تعيق تكيفه مـع المجتمع. امـا اذا فشلت الاسرة في احاطة الطفل بمثل هذا المناخ، فانه سيكون عرضة لهـذه الاضطرابات وستكون قدرته على التكيف محدودة او معدومة.

ومن اخطر الاضطرابات النفسية واكثرها شيوعاً العصبية أو النرفزة. وتتجلى بمظاهر شتى :

- انعدام الاستقرار
- الاستسلام الكلي لاحلام اليقظة.
- الغضب والتوتر العصبي.
- التشنجات الهستيرية.
- قضم الاظافر ومص الاصابع.
- الاعتداء على الآخرين أو المشاجرة معهم.

أول دروس العصبية

أول درس في العصبية يتلقنه الطفل من ابويه، ومن اخوته الكبار، فاذا كان الشجار شغل الاهل الشاغل، وكان الصياح سيد الموقف، فان الطفل سيتأثر بهذا الجو، وسيقلد تصرفات وسلوك من هم أكبر منه.

فالام العصبية، والاب العصبي، سيعكسان عصبيتهما على اطفالهما، الذين يلجأون الى تقليدهم. والام المتسلطة او الاب المتسلط، سيولدان في الطفل روح مقاومة تسلطهما، حتى في اولى مراحل النمو. وهذه النزعة لمقاومة التسلط ستفرز حالة عصبية لدى الطفل واستعدادات انفعالية.

واحياناً يقمع الطفل عصبيته ونزعته للمقاومة، ويعوض عنهما بالميل الى العزلة والانزواء، ويتشاغل عن بيئته الاسروية المتشنجة، بسلوك آخر، كقضم اظافره، او مص اصبعه، او حك فروة رأسه، أو اللعب بشعره، أو ادخال أصبعه في فتحة أنفه.

وهذه الحركات تنم عن عصبية متوترة وشديدة، تعتمل في

النفس فيعالجها الطفل بهذا السلوك أو ذاك. ويكون بذلك قد قمع العصبية بمظهرها الغاضب، واستبدلها بحركات لا ارادية يعذب بها ذاته، أو يسيء الى جسده.

أسباب عصبية الأطفال

ليست الأسباب دائماً نفسية، ويمكن ان تكون عضوية، كاضطراب الغدد لا سيما الغدة الدرقية، وسوء الهضم، والزوائد الانفية، والديدان المعوية ومرض الصرع.

لذا يجب مراجعة الطبيب الذي يخضع الطفل للفحص السريري والمخبري للتأكد من سلامته مما ذكر من الامراض والاعراض. فاذا كانت النتائج ايجابية، فلا يبقى غير العلاج النفسي. وليس المقصود بالعلاج النفسي هنا ان يكون في العيادة النفسية بالضرورة؛ بل بامكان الاهل والمربين من تدارك هذه الحالات، اذا هم التفتوا اليها قبل استفحالها، وذلك بازالة اسبابها وبواعثها، وتوجيه الطفل وحثه برفق على الاقلاع عنها.

فاذا كان الطفل كثير النرفزة، سريع الانفعال، يصار الى تنمية مشاعر الطمأنينة في نفسه، واحاطته بالعاطفة والحنان، دون مبالغة او تدليل.

اما اذا كان الطفل عصبي المزاج سريع الغضب، يثور بصورة هستيرية، ويقع فريسة نوبات انفعالية حادة، ينفس عنها بايذاء غيره، او بايذاء نفسه، او بتحطيم ما يصادفه من متاع، حينئذ تكون الحالة قد بلغت الخط الأحمر، وتستدعي العلاج في العيادة النفسية، مخافة أن يصاب الطفل بالانهيار العصبي.

وفي حال ظهور العصبية على شكل سلوك شاذ كقضم الاظافر او مص الاصابع، او عض الشفتين او مصهما، او حك الرأس، أو قضم الاقلام، أو ما شاكل من حركات لا ارادية، فان العلاج يبدأ في المنزل، وأول فصوله، اعادة النظر في علاقات الابوين بالطفل وفي علاقات احدهما بالآخر، وفي اسلوب تعاطيهما مع الغير، وفي طريقتهما لمواجهة المشاكل، وفي اسلوبهما في الحديث، والنقاش، وفي تنظيمهما للوقت، وفي هواياتهما، وهندامهما، وكل ما يتصل بحياتهما، وبالبيئة الاسرية.

ان نسف العلاقات الاسرية السابقة، واعادة تشكيلها بطريقة سليمة، هما أول فصل من فصول المعالجة. ثم تلي فصول اخرى تبدأ باعطاء الطفل ما يلزمه من عاطفة وحنان، وتنمية ثقته بنفسه، ولفته الى المزايا والمواهب التي يتمتع بها، واطرائهما، والكف عن تعنيفه، ولومه، وزجره، وتوفير ما يحتاجه من ملبس كاف لظهوره بمظهر لائق، وما يتناسب مع

ـه من ألعاب يتشاغل بها عن حركاته اللاارادية، واصطحابـه في نزهات يروح بها عن نفسه.

وترافق هذا البرنامج مراقبة الطفل لاستطلاع ما اذا كان قد بدأ يتخلى عن السلوك موضوع المعالجة تدريجياً. فاذا كانت النتيجة ايجابية يستحسن مواصلة البـرنامـج وتطويـره؛ بالغـاء بعض فقراته او الحد منها، او بزيادة وتيرتها، حسب ما يرى فيه الاهل مصلحة للطفل.

بعض بواعث العصبية والنرفزة

قد تكون البواعث ذات منشأ بيئوي كما اوضحنا سابقـاً، وقـد تكون ذات منشـأ خارج عن البيئة تضعف عقل الـطفـل وانخفاض مستوى ذكائه، مما يجعله عرضة للتوتر بسبب عدم قدرته على التكيف مع اقرانه ممن يفوقونه ذكاء، ويبدو عاجزاً عن إكتسـاب المهارات، او عن التحصيـل الـدراسي، او عن مسـايرة اقـرانه في اللعب والنشـاط. مما يسبب لـه الحـرج، والضيق، والشعـور بالنقص، ويسقط في العصبيـة بـدرجـات متفاوتة.

وإذا شعـر طفل كهـذا ان البيئة تضغط عليـه، لحثه على

القيام بما يقوم به من هم في سنه، فان ذلك يزيد من توتره ومن حساسيته، فتزداد عصبيته.

لذا ينصح الاهل والمربون بعدم اللجوء الى التأنيب والعقاب لردع الطفل عن سلوكه العصبي، لأنهم بتأنيبهم وزجرهم وتشهيرهم بالطفل، سيضاعفون من توتره ومن حساسيته، وبالتالي من عصبيته.

ويجب الانتباه الى تمييز العصبية والنرفزة عن الصرع الذي هو حالة مرضية مختلفة باسبابها وبعوارضها، وتستدعي علاجاً طبياً مختلفاً.

كما يجب الالتفات الى بعض الحالات العصبية العارضة في حياة الطفل، والمتصلة ببعض مراحل نموه، كمرحلة الفطام، ومرحلة ظهور الاسنان، ومرحلة الدخول الى المدرسة، ومرحلة البلوغ، ومرحلة المراهقة، لأن الولد في هذه المراحل يكون عرضة لبعض التبدلات الفيزيولوجية، التي تترك آثارها على حالته العصبية، لكن عصبية الاطفال والاولاد في هذه المراحل من حياتهم سرعان ما تزول لا سيما اذا تعامل معها الآباء والمربون بطريقة مرنة، ولم يقمعوها في الاولاد، وحاولوا التخفيف من آثارها عليهم، وعملوا على ان لا تتحول مع الوقت، الى عادة او سلوك او طبع.

الفصل الثامن

عيوب النطق عند الأطفال

أسعد لحظة في حياة الأهل بعد ميلاد طفلهم، هـي تلك اللحظة التي يسمعون فيها مناغـاته، وتتضـاعف هذه السعـادة حينما يبدأ الطفل بنطق بواكير كلماته.

ومما لا جدال فيه ان اللغة هي وعاء الفكر، بواسطتها يعبر الانسان عن افكاره، ويتواصل بها مع العالم الخارجي.

والمعروف ان اول صوت يصدره الطفـل هو البكـاء، ثم تأتي المناغاة، فالضحك، وبعد شهور من ميلاده؛ يأخذ الطفل بابداع اصوات غير ذات معنى، وهي ليست مشتقة من حروف الابجدية. ومع حلول الشهر العـاشر ينـطق الطفـل اول كلمة ذات معنى (بابا، أو ماما) وفي نهاية السنة الاولى يكون معجمه قد تطور، ليحتوي على اربع كلمات تقريباً.

وفي الشهر الثامن عشـر يكتسب الطفـل العادي اكثـر من عشر كلمات، وقد يصل عددها الى عشرين احياناً. وفي شهره

الثلاثين يؤلف الطفل جملاً بسيطة أو مركبة حسب قابليته ودرجة ذكائه. ومع انتهاء سنته الثالثة يصبح قاموسه متنوع الكلمات ومتعدد الالفاظ، اذ يربو عددها في هذا السن على زهاء ٩٠٠ كلمة. ومع ولوج عامه الرابع، يكون بمقدوره ان يؤلف جملاً مؤلفة من ست كلمات. وفي سنته الخامسة تكون الحصيلة اكثر من الفي كلمة، وقد تصل الى ثلاثة آلاف.

لكن قدرة الاطفال على النطق السليم تختلف بين طفل وآخر، وتتطور بين سنة واخرى، ثم ان بعض الاطفال يتأخرون في الكلام، وهذا ما يسمى بالحبسة التعبيرية، وثمة اطفال يعجزون عن استدعاء الكلمات التي يحتاجونها للتعبير، وهذا ما يسمى بالحبسة النسيانية، واحياناً تأخذ الحبسة شكلاً تشنجياً.

وبعض الأطفال يعانون من التأتأة في النطق، فيتلكأون في اخراج الكلمات، أو ينطقون بها غير كاملة، حيث يسقطون حرفاً أو أكثر من حروفها.

ومن عيوب النطق الخنخنة، وتتأتى من تشوه سقف الحلق، او من التهاب الجيوب الأنفية، او التهاب اللوزتين وانتفاخهما الورمي.

ويصاحب التأتأة عادة اعراض اخرى كهز الرأس، أو

تحريك العينين او الكتفين او الضغط على الاسنان، أو اخراج اللسان، أو بلع اللعاب.

وكل عيوب النطق على اختلافها، تكون مصحوبة بالقلق والارتباك، والخجل والشعور بالنقص، وتتسبب بالانطواء، وعدم القدرة على التكيف.

بواعث عيوب النطق

أسباب وبواعث عيوب النطق متعددة ومتنوعة ومتشعبة ويمكن ان تندرج تحت ثلاثة عناوين :

١ - الأسباب العضوية :

من الاسباب العضوية لعيوب النطق اختلال الجهاز العصبي المركزي، وخلل في عمل الاعصاب المتحكمة بالنطق كأربطة اللسان، والمراكز الكلامية في المخ.

واحياناً تكون الاسباب على شكل عيوب خلقية في الجهاز النطقي : الفم، الفكين، الاسنان، اللسان، الشفتين وسقف الحلق.

قد تكون الاسباب متصلة بضعف السمع، أو بانخفاض مستوى الذكاء، أو بضعف عقلي.

وتعالج الاسبـاب العضويه ان وجدت، حتى اذا اقتضى الامر اجراء جراحة معينة.

٢ ـ الأسباب البيئية :

أحياناً تتولد عيوب النطق بـالممارسـة الخاطئـة والتقليد. ففي بعض الاسر يلجأ الآباء الى تدليل طفلهم، فيعلمونـه ان ينـطق الكلمات والحـروف بطريقـة خاطئـة، ويشجعونـه على الخطأ في التلفظ بها، فلا يلبث الخطأ ان يتحول الى قاعدة. وينشأ الطفل عليه، ويصعب بعد ذلك الخلاص منه. لا سيما حين يخرج الى الحياة العامة، كالبيئة المدرسية، فيكتشف أنه غير سوي قياساً على اقرانه، ويسخر اقرانه ومعلموه من طريقة نـطقـه، فتبـدأ اعـراض مـركب النقص بـالـظهـور، وتتفاعل مضاعفاتها الخطيرة.

٣ ـ الأسباب النفسية :

القلق النفسي، والاضطرابات العصبية والتوتر والعصبية، تؤدي كلها في بعض الاحيان الى اضطراب في النطق كالتأتأة.

وأحياناً يتـأخر الـطفل في الكـلام فيلجأ الآبـاء الى دفعه للكلام دفعاً لا يتناسب مع قدراته، وعوض ان يستجيب لرغبة أبويه والميحطين به من الكبار، نراه يتخذ موقفاً معترضاً، يعبر عنه باختلال النطق سواء بالتأتأة أو الخنخنـة، هذا إن لم يصب

بالعياء وهو العجز الجزئي او التام عن النطق .

وشأنها شأن معظم العيوب النفسية، فان عيوب النطق قد تنشأ عن قصور وعي الآباء التربوي، كحرمان الاطفال من الحنان، أو الافراط في التدليل.

٤ ـ أسباب مختلفة :

ان بطء نمو الطفل، او ضعف عقله، قد يتسببان بعيوب النطق والكلام.

كما ان معايشة الطفل لبيئة تتعدد فيها اللغات واللهجات، قد تتسبب في تأخره بالكلام وفي عيه أحياناً.

والطفل الخامل الكسول الاتكالي، يكون احياناً عرضة لعيوب النطق.

وفي بعض الحالات فان تفوق الطفل في ذكائه وسرعة بديهته، قد تسبب له نوعاً من التأتأة، حيث يسبق تفكيره تعبيره، وتتزاحم الافكار في رأسه فيعجز عن التعبير عنها بوتيرة متناسبة مع وتيرة تزاحمها.

وعندما يلجأ المدرسون الى تلقين التلميذ درساً للحفظ، دون ان يشرحوا له مضمونه ومعناه، فان الطفل يلجأ الى التأتأة كلما ضاع منه اللفظ، أو نسي بعض الكلمات.

العي حالة خاصة

المقصود بالعي ، حالة الطفل او الكبير، الذي يعجز عن النطق بسبب توتر عضلاته الصوتية او بسبب تصلبها، فهو لذلك يبذل مجهوداً للنطق، فاذا وفق بالكلمة الاولى، يندفع الى آخر الجملة ويسكت، ثم يعاوده العي، فيستأنف مجهوده ثانية، وتتكرر الحال طوال خطابه التعبيري، فإذا انتهى نراه يتصبب بالعرق وقد بدا الاعياء والتعب عليه.

وأسباب العي قد تكون عضوية ، وقد تكون نفسية. ومعظمها نفسية.

فالأسباب العضوية تتمثل في صعوبة التنفس او التنفس من الفم بسبب التهاب الجيوب الانفية او انسدادها. كما تتمثل في غلظ اللسان، او اضطراب الجهاز التنفسي او تضخم اللوزتين.

والاسباب النفسية تتمثل في اصابة الطفل بالعصبية، او بالنرفزة، او بالتوتر النفسي، او بانفصام الشخصية، او بمركب النقص، او بانخفاض مستوى الذكاء والاصابة بالنسيان وعدم التركيز.

العلاج

لمعالجة عيوب النطق نعتمد الاساليب التالية :

١ - **العلاج العضوي** : الذي يجب ان يسبق مراحل العلاج الاخرى، ويعرض الطفل على الطبيب لمعرفة ما اذا كان السبب عضوياً، وتشخيصه ومن ثم معالجته بالاغذية او العقاقير او بالجراحة.

٢ - **العلاج النفسي** : ويكون بتوفير مقومات الصحة النفسية للطفل في بيئته الاجتماعية. وقد دلت التجارب ان العلاج النفسي يخفف من بعض عيوب النطق ويزيل بعضها.

٣ - **العلاج التدريبي** : ويكون بتدريب الطفل على الكلام، وفق خطة مدروسة وعلمية يخضع الطفل خلال تنفيذها لسلسلة من التمارين مرسومة بدقة من قبل اخصائيين في علم النفس والتعليم.

٤ - **العلاج البيئي** : ويتمثل بالسعي لدفع الطفل الى التكيف في المجتمع عبر اشراكه في نشاطات اجتماعية بصورة تدريجية، من خلال النوادي الرياضية، والجمعيات الكشفية، والمخيمات الصيفية المخصصة للاطفال.

وهنا على الآباء أن يتنبهوا الى ان فترة العلاج قد تطول، وقد يضطرون الى اعتماد وسائل العلاج مجتمعة او منفردة. كأن يعالج الطفل عضوياً، ثم يعالج نفسياً وبيئياً وتدريبياً في مرحلة لاحقة.

ثم أن الطفل المصاب بالعي او بالتأتأة، قد تحل به انتكاسة بعد او اثناء فترة العلاج، فيعاوده العيب بعد ان يكون قد شفي منه أو شارف على الشفاء. وهنا يتوجب على الاهل ان لا يصابوا بالهلع واليأس، وان يعاودوا الكرة، فيبدأون العلاج من الصفر.

المراحل الحرجة

ان الاصابة بعاهات النطق وعيوبه تحصل عادة في المراحل الحرجة من حياة الطفل وهي اربعة :

١ - مرحلة التفتح على الكلام وتكون في الشهر الثلاثين من عمر الطفل.

٢ - مرحلة مبدأ التحصيل الدراسي ، وتكون عادة في السنة الرابعة وما يليها حتى السادسة من حياة الطفل.

٣ - مرحلة البلوغ .

٤ - مرحلة المراهقة .

الفصل التاسع

المراهقة . .
هذه المرحلة الحرجة الجميلة

المراهقة هي السن الحرجة في حياة الابناء، وهي السن المحرجة للآباء.

انها مرحلة انتقالية بين الطفولة والشباب. وتكون مصحوبة او مسبوقة بتغيرات جسمية ونفسية، تعكس نفسها على شخصية المراهق او المراهقة، فتبدلها وقد تغيرها.

وتبدأ سن المراهقة عند البنات في الثانية عشرة وعند الصبيان في الثالثة عشرة، وقد تتأخر شهوراً قليلة او كثيرة، كما قد تأتي مبكرة، حسب نمو الطفل والبيئة الطبيعية او الاجتماعية.

فثمة اطفال يراهقون منذ التاسعة وثمة اطفال لا تفاجئهم المراهقة قبل الرابعة عشرة او بعدها بقليل.

وفي البلدان الحارة تأتي المراهقة مبكرة، وتتخلف قليلاً في البلدان الباردة.

وفي بعض البيئات المحافظة تتأخر المراهقة بالظهور، في حين تبكر في الارياف وفي البيئات المدينية المنفتحة على التحرر في العلاقات الاجتماعية.

ويعلم جميع الآباء الكثير من الحقائق عن المراهقة، لأنهم مروا بالتجربة، ثم قرأوا أو سمعوا عنها الكثير، وهم رغم ذلك لا يولونها ما تستحقه من رعاية عندما يمر بها اولادهم، فيقصرون في تخصيص المراهق بعناية فائقة، وفي اسداء النصح والارشاد له، وفي توفير الأجواء الملائمة لمراهقة سعيدة منزهة عن الانحرافات والشذوذ، ومحصنة ضد العلل والعاهات النفسية.

مظاهر المراهقة

١ - المظاهر الجسدية:

يستدل على سن المراهقة من المتغيرات التي تطرأ على جسم المراهق. فينمو نمواً متسارعاً مفاجئاً في الطول والعرض والوزن واتساع الكتفين والحوض.

ويترافق هذا النمو مع نمو مماثل في اعضائه التناسلية، فتكبر الخصيتان والقضيب عند الفتيان، ويبدأ الاحتلام، اما

عند الفتيات فيبرز النهدان ويتسع الحوض ويكتنز الردفان ويبدأ الحيض.

بالنسبة لهذه العوارض المفاجئة ينصح الاهل بمراقبتها، وبشرح اسبابها للفتى والفتاة، فتتولى الام مهمة الشرح والإرشاد الصحي للفتاة التي يفاجئها الحيض للمرة الاولى. ويتولى الأب او الابوان معاً شرح عوامل الرجولة للفتيان.

وفي الحالتين، يوضع الولد أمام واجباته الدينية، فيعلمه الابوان الطهارة والصلاة ويحضانه على الصيام، ويساعدانه على تأدية زكاة الفطر، والاضحية، ويزينان له الصدقة وفعل الخير.

لكن لا يطلب من الاباء التشدد في هذه الشؤون تشدداً قد يحدث ردة فعل عكسية. بل عليهم ان يكتفوا بالنصيحة والحث، والتذكير، والتنبيه، وان يكونوا القدوة الصالحة لابنائهم في هذا المضمار.

ويشترط ان لا يلجأ الاباء الى تخويف الابناء بعقاب الله او بجهنم، بل بترغيبهم بمرضاة الله وبالجنة.

المظاهر والتغيرات النفسية:

يتعرض المراهق لتوتر انفعالي حاد. مبعثه القلق وعدم

الاستقرار والازمات التي يتعرض لها، في هذا المنعطف الحاد من نموه. فتراه متأرجحاً بين التهور والاستكانة، بين الشجاعة والجبن، بين المثالية والواقعية، بين الغضب والسكينة، بين التدين والالحاد، بين الفرح والحزن، بين الفظاظة واللطف، بين القسوة واللين.

وتنتاب المراهق احلام اليقظة فتملأ عليه حياته واوقاته. كما تساوره هواجس واوهام فيتخيل انه مرذول منبوذ، او انه محبوب مستلطف، او انه فاشل، او انه عبقري، واحياناً تساوره هذه الهواجس جميعها متناوبة عليه، حسب الظروف التي يجتازها.

المراهق والبيئة

ويتأثر المراهق في كل ذلك بالعوامل البيئية المحيطة به، فاذا كان ينتمي الى اسرة ميسورة توفر له ما يحتاجه من غذاء صحي ، ومن مسكن صحي ، ومن مظهر لائق ، فإن ذلك سيساعده على اجتياز عوائق المراهقة. لا سيما اذا وفر له الابوان ما يحتاجه من عاطفة وحدب وحنان، وكانا في ذلك معتدلين، بحيث لا يغرقانه بالدلال.

أما اذا كان الابوان يشكوان من قلة وعوز او كانا بخيلين

في الانفاق، او كانا قاسيين في التربية متشددين في اوامرهما ونواهيهما، فان المراهقة ستتحول الى جحيم لا يطاق، وسيتعرض المراهق الى نكسات وصدمات نفسية تترك آثارها في حياته.

من هنا يشدد الاخصائيون على دور الأهل في توجيه المراهق، وفي تكوينه الجسدي والنفسي. ويرون ان هذا الدور حاسم في تكوين شخصية الولد، خلال انتقاله الى مرحلة الشباب.

ويأتي دور المدرسة ثانياً في الأهمية، ومثله دور عشراء المراهق واقرانه. فاذا صادف ان المربين قمعوا مشاعر المراهق ولم يقيموا وزناً لها، فتعاملوا معها بالتشدد، فان المراهق سيصاب بتعقيدات نفسية عديدة ومتنوعة الوجوه ولا حصر لها.

كذلك اذا اطلق المربون للمراهق الحبل على الغارب فانهم سيخلقون الظروف الملائمة لوقوعه في الانحراف والشذوذ.

والى هذين الدورين نضيف دور العشراء والاقران من الاخوة والمجايلين والاتراب، فهؤلاء هم بيئة المراهق الاكثر تأثيراً فيه، والأكثر التصاقاً به، فاذا كانت بيئة منحرفة سقط المراهق في الانحراف، حيث التدخين، وتعود الاجرام،

والشذوذ الجنسي، والسكر، والمخدرات، وغير ذلك مما يقع المراهق فريسته بسهولة، ان صاحب عشرة السوء.

المراهق والجنس

في مرحلة المراهقة يحتدم الصراع داخل المراهق بين الدوافع الجنسية الفطرية من جهة، وبين النواميس الاجتماعية والمعتقدات الدينية، والاعراف والقوانين، من جهة ثانية.

لذا يتوجب على السلطة التي توجه البيئة الاجتماعية للمراهق، ان تكون مرنة، غير متزمتة، ولا ضيقة الأفق.

لكن المرونة المطلوبة لا تعني الحرية المطلقة، وانعدام الضوابط، والتفريط في القواعد الاخلاقية، وفي القيم الدينية،

المراهق والسلطة البيئية

ولا يخفف من حدة المراهقة الا ان تقوم علاقة المراهق بالبيئة الاجتماعية وبالسلطة التي توجهها، على أسس التفاهم المتبادل، وتفهم حاجات المراهق، ومستلزمات المرحلة الحرجة التي يجتازها.

والمراهق يحتاج الى نوع من السلام الاجتماعي، ليتكيف مع البيئة ومع نفسه، ومع متغيرات جسده ونفسه، ومتطلباتهما المشروعة.

المراهقة واثبات الذات

في سن المراهقة ينزع الانسان لاثبات ذاته، ويسعى ليحتل مكانه في المجتمع، ويحلم بوضع مستقر وثابت، ويطمح الى ان يكون ذا شخصية مرموقة، ويعمل على توكيد شخصيته وتمييزها.

فاذا لم يجد المراهق الفرصة متاحة امامه لتحقيق ذلك، فانه سوف يتمرد على البيئة التي لم توفر له تلك الفرصة، وعلى السلطة التي توجه تلك البيئة سواء كانت السلطة الابوية، أو السلطة المدرسية، أو حتى سلطة القانون والمجتمع. فيخرج عليها ويحاول توكيد ذاته خارج اوامرها، ونواهيها، واعرافها، وشرائعها، فيقع في الخطأ، وفي الانحراف، وفي الجريمة احياناً.

ميول المراهق

تتعدد ميول المراهق وتختلف باختلاف الاشخاص. لكن ثمة ميول لها طابع العمومية وهي تسعة :

- **الميل للجنس** : ويتجلى عادة بالميل الى الجنس الآخر وهو فطرة طبع الانسان عليها ولا خوف منها، ولا يجوز كبتها، إلا اذا شكلت خطراً عدوانياً، أو تجاوزت حدود الحشمة، او خالفت قواعد الدين ودخلت في دائرة محرماته.

ومهمة الأباء ان يساعدوا المراهق على تجاوز صعوبة هذ المرحلة، فيمسكون بيده ويبصرونه بالحلال والحرام، وبالأثم، وبما يجوز وما لا يجوز، وعليهم ايضاً ان يوفروا له فرص الاحتكاك بالجنس الآخر في جو من الحشمة والثقة بالنفس وبالآخرين، وفي اطار خطط ترفيهية مراقبة ومدروسة، ومحسومة النتائج.

كما يتوجب على الاباء والمربين ان يوفروا للمراهق الحد المعقول من الثقافة الجنسية، وان يبعدوه عن الكتب والمجلات والافلام الخلاعية. مع قدر مقبول من قصص الحب العذري، الذي يملأ خياله بالقيم.

كما يتوجب على الآباء والمربين ان يجيبوا بصدق ووضوح

علمي على اسئلة المـراهق، وان يعودوه على الصـراحـه والصدق، وان ينموا فيه مشاعر الاعتزاز بالنفس، لا سيما برجولتـه او انوثتـه، مؤكدين ان هـذه او تلك هي هبة الله للانسان، وفيها يتجسد ابداع الخالق وتتجلى حكمتـه في الوجود والخلق والتناسل والتكـاثر والحفـاظ على الجنس البشري.

الميل الاجتماعي

مثلما يميل الى الجنس الآخـر، نرى المـراهق ميالاً الى تكوين علاقات اجتماعية وصداقات عديدة وحميمة، ويكون في علاقته باصدقائه شديد الاخلاص، متفانياً راغبـاً في التضحية مقبلاً عليها. ولذا يطلب من الاهل اغتنام هـذه الفرصـة ودفع المراهق إلى مصادقة الفتية المهذبين من أقرانه ومعاشرة الفتيـات المهذبات. ومـراقبة المـراهق وصداقـاته ضـرورية جـداً في هذه المرحلة من حياته.

الميل إلى الاستطلاع

يميل المراهق الى اكتشاف المجهول واستـطلاع الاشياء والاشخاص والاماكن الجـديدة، لـذا نراه مغـرماً بـالرحـلات

مندفعاً للارتماء في أحضان الطبيعة، واكتشاف أسرار جبالها وغاباتها وبحارها وانهارها ومخلوقاتها.

ويمكن الاستفادة من هذه الميول بتشجيع المراهق على البحث العلمي والجغرافي. ومن أجل ذلك على الاهل ان يزودوه بالكتب والمجلات التي تنمي فيه هذه الروح، وان يفسحوا له المجال لاكتشاف الطبيعة والتعرف الى اسرارها.

الميل إلى التمرد

المراهق ثائر على القيم السائدة، وعلى الاعراف السائدة وعلى القوانين السائدة، ومتمرد بالفطرة على كل اشكال السلطة.

وبعض المراهقين يتسلحون بملكة النقد يسلطونه على من حولهم وما حولهم، فتراهم يبحثون عن اخطاء الآخرين من اقرانهم الى اخوانهم فمعلميهم وآبائهم. فيبرزونها ويتحدثون عنها، واحياناً يقدمون اقتراحات عملية لاصلاحها.

الميل إلى المرح

على الرغم من ملامح القلق التي تغطي سلوك المراهق.

فاننا نراه تواقاً للمرح، راغباً فيه، وفي مجالس السرور والفرح والانشراح والمزاح. ويقتضي ان نشبع فيه هذا الميل فنوفر له الاجواء المناسبة لاشباعه.

الميل إلى النقد الذاتي

كما ان المراهق ناقد بـارع للآخـرين، فهو نـاقد لـذاته، ويتشدد في نقد ذاته بكل صراحة وعفـوية. لـذا فان علينـا ان نـأخذ بيـده حتى لا يتحول نقـده الذاتي الى نـوع من الشعور بالضعة، أو الشعور بالذنب.

الميل إلى المثل الأعلى

كـل مراهق يضـع نصب عينيه مثله الأعلى، فيكـون تارة لاعب كرة ماهر، وطوراً ممثلاً بارعاً، واحياناً معلماً محبوباً، أو قائداً سياسياً فذاً، أو رجلاً من رجال التاريخ او من نوابع العلم والفن والادب.

الميل إلى التدين

والمراهق ميال الى التدين، لانه يبحث عن فلسفة للحياة،

عن استقرار نفسي، وفي معركة البحث هذه نراه يتذبذب بين الايمان والالحاد، ثم سرعان ما يستقر على الايمان لانه اقرب الى طموحاته، ويستحسن ان ننمي في المراهق مشاعر الايمان وان نوضح له حقيقة وحدانية الله ووجوده وديمومته. وان نعوده على تأدية العبادات والفرائض الدينية، بعيداً عن الترهيب.

الميل إلى تحمل المسؤولية

يميل المراهق أيضاً الى ان يتحمل المسؤولية شأن الكبار، وذلك لتوكيد ذاته، وتثبيت شخصيته، لذا فانه يقبل على المسؤولية ويحرص على القيام بمتطلباتها خير قيام. فاذا اوكلت الام الى ابنتها المراهقة شأناً من شؤون المنزل، نراها تحرص على تدبيره والقيام خير قيام، واذا اسند الأب الى ابنه المراهق مهمة، فانه ينفذها باتقان.

والمراهق في كل ذلك يرفض ان يكون مأموراً، او ان يعامل معاملة الضعفاء، أو الاطفال، لذا فاننا نجرح كبرياءه ان زجرناه او املينا عليه اوامرنا، او شهرنا به، او انتقصنا من قدره

كيف نعامل المراهق

يجب ان يحرص الآباء والمربون على اشباع حاجات المراهق وذلك بمعاملته على انه اصبح رجلاً او آنسة ناضجة، وباشراكه في حل مشاكل الاسرة، واحترام رأيه.

كما يتوجب عليهم ان يحترموه وان يخلصوا له المعاملة، فيبادلهم الاخلاص والاحترام، وينمون في نفسه هذه المشاعر النبيلة.

ويجب إعتباره صديقاً صغيراً، وتعويده أن ينظر إلى الآباء والمدرسين كأصدقاء كبار.

يجب على الآباء ان يتعاملوا مع الولد المراهق بشهامة ونبل وشرف، فلا يحنثون له وعداً ولا يكذبون او يدلسون عليه، ولا يخيبون ظنه بهم، وبنبلهم واستقامتهم. وان يكونوا له القدوة الحسنة بسلوكهم ونهجهم والقيم التي تترسخ في اعماقهم.

ويقتضي ان نرضي غرور المراهق الاجتماعي فنعطيه مكانه الطبيعي في مجتمع الكبار، ونحاوره، ونناقشه بهدوء، ونصغي لآرائه. كما يتوجب علينا ان نساعده على الاستقلال في حياته، وفي غرفة نومه، وفي امتلاك حاجاته وصيانتها، وفي اختيار الاصدقاء من الاخيار، وفي انتقاء ثيابه وجواربه

واحذيته. وهنا يكتفي الاهل بالمراقبة والتوجيه.

واهم النصائح ان نحرص على اشعار المراهق بـ ـ ـ مسؤول، وان نترك له ممارسة مسؤوليته، بعيدا عن التدخل وعن الزجر والنهي والامر والقسوة، وعن الاهمال وعدم الاكتراث. لانهما معادلان للقسوة.

الفصل العاشر

درهم وقاية
خير من قنطار علاج

بعد أن استعرضنا هذه المشاكل التي تعترض الآباء في تربية ابنائهم، او لنكن اكثر صراحة وموضوعية، ولنقل : هذه المشاكل التي يتعرض لها الابناء جراء تنشئة خاطئة من آبائهم، نتساءل : هل توجد وسائل كفيلة بتخليص الأبناء - وهم جيل المستقبل - من هذه العوارض والعلل المنفسية التي تحطم شخصياتهم وتعيق نموهم النفسي، وتعكس آثارها السلبية على نموهم الجسدي، وتساهم في اعتلال بنية المجتمع الفكرية وقدرته الانتاجية في شتى المجالات.

يذهب الاخصائيون في مجال علمي النفس والاجتماع، مذهب علماء الطب والصحة الوقائيين، حينما يعلنون ان «درهم وقاية خير من قنطار علاج». ويفسرون ذلك بأن واجب الآباء والمربين ان يجنبوا الطفل العثرات والمطبات التي تؤدي به الى انتهاج سلوك شاذ او التطبع على عادة مستهجنة، أو التخلق بخلق بغيض. ويضيف اهل الاختصاص : ان الطفل

يولد سوياً وبصحة نفسية سليمة، فاذا هو ابتلي بآفة من الآفات التي مر ذكرها أو بأكثر من واحدة، فان التبعة على الأهل والمدرسة، حيث تتركز فيهما سلطة التوجيه.

بيد ان الأهل هم الذين يتولون هذه السلطة في البداية، ويشرفون على تنشئة الطفل حينما يكون لدناً مطواعاً، وطري العود، سريع التأثر بالمؤثرات الخارجية. وهم بالتالي المسؤولون عن الطفل في تلك المرحلة، وتظل مسؤوليتهم قائمة وكاملة في المرحلة الثانية عندما تشاركهم المدرسة والبيئة الخارجية في بعض تلك المسؤولية.

ولأن موضوع هذا الكتاب يقتصر على عرض وعلاج بعض المشاكل النفسية التي يتعرض لها الابناء وتواجه الآباء في تربية ابنائهم، فاننا سنقصر هذا البحث على الآباء دون المدرسة، فنستعرض بعض النصائح التي تساعد الآباء في تنشئة ابنائهم تنشئة قويمة تساهم في درء مخاطر الانحراف النفسي والخلقي عنهم :

١ ـ حذار من حاضنات السوء ومربيات السوء وخادمات السوء. ففيهن يكمن البلاء العظيم. فلنتصور ان طفلاً لأبوين فاضلين، يسلم لحاضنة متهتكة، أو لحاضنة جاهلة، أو لحاضنة مهملة، فان النتيجة ستكون حتم ضياع الطفل، جسدياً ونفسياً :

جسدياً سيصاب الطفل بسوء التغذية، وبالنرفزة، جراء اهمال الحاضنة له، وعدم التزامها بمواعيد طعامه ومقاديرها واصنافها، وبمواعيد نومه وبتوفير الجو الهاديء الملائم للنوم او للرضاعة، فضلاً عن اهمالها لنظافة جسده. وهذا الاهمال سيترك مضاعفاته الصحية والنفسية على الطفل.

ونفسياً، لنتصور مربية او خادمة، تنصرف عن الطفل في شهره الثامن عشر، الى عشيق لها تغازله على مرأى من الطفل، او تهاتفه على مسمع منه، وتتهتك في كل ذلك. أو لنتصور أنها تخلع ثيابها على مرأى منه وتمارس غواياتها أمام المرآة تستجلب لذة، أو تداعب ثدياً، أو تقلد راقصة فاجرة.

ولنتصور هذه الخادمة او تلك الحاضنة او هاتيك المربية، تنتهز فرصة غياب سيدتها عن البيت، ثم تفتح خزانتها، وتبعثر محتوياتها طمعاً في شيء تسرقه، أو تقيس ثياب سيدتها على جسمها، أو تلبس مصاغها أو تسطو على ادوات الماكياج تجربها في وجهها وعينيها واظافرها، والطفل يراقب كل ذلك ببصره وبصيرته الثاقبة، حتى اذا عادت السيدة أو أوشكت أن تعود، تعيد الخادمة كل شيء الى ما كان عليه، واذا سئلت كيف قضت وقتها تجيب، انها كانت منصرفة للطفل طوال الوقت. والطفل وان كان لا يحسن الكلام فانه يعترض في قرارة نفسه، لكنه يلحظ ان الكذبة قد انطلت على امه، فيبهره

نجاح خادمته، ويعجبه حسن تخلصها.

ان مثل هذا الطفل واقرانه ممن تسلمهم أمهاتهم للحاضنات والمربيات والخادمات، يرضعون بذور الانحراف مع الحليب ويكونون عرضة لآفات الكذب والسرقة، وغيرهما من الآفات التي تتولد عنهما.

لذا ننصح الامهات ان ينصرفن كلياً الى الاشراف على تنشئة الطفل في مرحلة نموه الاولى اي منذ الولادة وحتى الشهر السادس والثلاثين بداية المرحلة الدراسية، ويكون دور الحاضنة او المربية او الخادمة دوراً ثانوياً مساعداً.

فاذا اضطرت الام لأي سبب وجيه كالمرض أو السفر الاضطراري او العمل، الى ايكال مهمة التربية للغير، فان عليها ان تحسن الاختيار وان توكل مهمة المراقبة والاشراف الى من تثق بهم، كزوجها او والدتها او شقيقتها او صديقة فاضلة.

٢ ـ وحذار من جارة السوء : فلا تتركي طفلك في عهدتها، كي تذهبي إلى السوق ، أو إلى السينما ، أو لترافقي زوجك الى حفلة او سهرة، فان مثل هذه الجارة ستكون اكثر خطراً على الطفل، خصوصاً اذا كانت أماً لطفل من عمر طفلك. ذلك انها ستنصرف عن طفلك الى طفلها

بطريقة تجرح مشاعره وتثير فيه كوامن الغيرة والحسد ومركبات النقص. ومشاعر الغضب والعدوانية.

٣ـ لا تتركي طفلك وحيداً، يغط في نومه، ثم تقفلين الباب عليه وتقصدين الجارة لقضاء الصبحية او العصرية او السهرة. ففي غيابك قد يستيقظ الطفل، فيفتقدك، وفي وحدته ستتولد فيه مشاعر الخوف، بكل مضاعفاتها الخطرة، فضلاً عن شعوره بالضعة بسبب اهمالك له.

وأسوأ ما تفعلينه يا سيدتي، ان تطلبي من اطفالك ان يخلدوا الى النوم، وتزعمي انك وزوجك متعبان وتحتاجان للنوم باكراً، ثم انك تبدأين بتحضير: بنتك وثياب السهرة، وزوجك يهم بأخذ حمامه بعد حلاقة ذقنه،استعداداً لسهرة عامرة تحلمان بها. واطفالكما يراقبون كل ذلك ويدركون انكما تكذبان، فيغمضون العيون على قرار بان لا يغفوا، وما ان تخرجا وتوصدا الابواب، حتى يستقيظ الاطفال او بعضهم ويتملكهم احد شعورين :

- شعور بالخوف ان كانوا في سن لا يقوون معها على قضاء الليل على هذه الصورة، فتدركهم الوحشة لغيابكما. وتبدأ هكذا رحلتهم مع الخوف.

- أو شعور بالزهو لأنهم تمكنوا من خداعكما وها هم

سيهضون ليقضوا بدورهم سهرة عامرة على هواهم، فاذا عدتما بعد ذلك ستجدان ان الاطفال قد اخفوا عنكما آثار عبثهم. واذا سألتما في الصباح احدهما عن ليلته. لا يلبث ان يزعم انه نام نوماً عميقاً طوال الوقت. وتبدأ هكذا رحلة الاطفال مع الكذب.

٤ ـ حذار الشجار امام الاطفال: فلا يجوز ان يتلاسن الأبوان، أو أن يتناقشان بحدة، او ان يتشاجرا على مسمع من اطفالهما. وفي كل الحالات، عليهما ان يضيقا دائرة النقاش أو الشجار، حتى لا يكتشف الاطفال سوءاتهما. فاذا كان ثمة خلاف ناشب، فليناقش بعيداً عن الطفل. ولنجنبه نتائج هذا الموقف.

٥ ـ حذار الكذب امام الاطفال : فاذا اضطررت ايها الاب او اضطررت ايتها الام الى كذبة «بيضاء» للخلاص من مأزق ما، مع الجيران او الاصدقاء، فلماذا تحشران الطفل في ذلك؟ اليس اجدر بكما ان تحصناه ضد الكذب ؟

٦ ـ حذار السرقة : ومثلما ينبغي حجب الطفل عن كذباتنا البيضاء ، يجب ان نحجبه عن سرقاتنا «البيضاء»، فلا تمكنه الام ان يراها تبحث في محفظة زوجها عن مال، او سر مربوط بصورة، او ببطاقة، او برسالة، فان هذه الاشياء

لا تعني الطفل، فليظل بعيداً عن عالمكما المنحرف. او عن علاقتكما غير المتوازنة.

٧ - حذار العنف والصرامة والقسوة، سواء ضدالطفل او ضد غيره، لانه سيتأثر سلبياً بمظاهر العنف الكلامي والجسدي.

٨ - حذار الغضب : ان اظهار الغضب والانفعال امام الطفل سيولد في ذاته مشاعر مماثلة، فيلجأ الى التقليد، في المواقف المشابهة.

٩ - حذار التدليل والمبالغة في العاطفة، او في الضعف امام ميول الطفل السلطوية او أمام رغباته الطائشة، فإن ذلك من شأنه أن يحول الطفل الى انسان اتكالي هامشي جراء العاطفة الحادة والتدليل الشاذ، أو يحوله الى انسان اناني مشاكس عنيد، من جراء الضعف الابوي حيال ميوله التسلطية ورغباته الطائشة.

١٠ - حذار القسوة والصرامة في التعامل مع الطفل، فهذا الكائن الصغير هو كتلة من المشاعر الدقيقة الحساسة، التي لا يجوز خدشها او جرحها او تحطيمها بمعاملة قاسية عنيفة زاجرة فظة - مما يسبب له تعقيدات نفسية شتى ولا حصر لها.

والمرونة تبقى افضل طريقة للتعامل مع الطفل. فلا تدليل ولا قمع، بل اعتدال في الأخذ والعطاء.

١١ ـ حذار الغش، فالغش بمظاهره المختلفة، وسواء انصب على الشريك (الزوج او الزوجة)، او على الجار، او على الصديق، او على الغير، او على الطفل ذاته، فانه سيكون الفخ الذي يتربص بالطفل، ليحوله الى غشاش.

١٢ ـ حذار السكر والمقامرة وتعاطي المخدرات والفجور، فانها آفات هذا العصر الرجيم، وسيتأثر الطفل بالآباء والامهات ان هم مارسوها على مرأى أو مسمع منه.

١٣ ـ وفروا لاولادكم الحد الادنى من الكفاية في الغذاء الصحي، والملبس اللائق، والمسكن الصحي والمتناسب مع وضع الاسرة الاجتماعي، والمصروف المعتدل الكافي.

١٤ ـ اعملوا ما وسعكم على الترويح عن نفوس اولادكم، سواء باصطحابهم في نزهات الى احضان الطبيعة، او الى السينما، او الى الحدائق العامة، او الى ملاعب الطفولة ومدن اللهو الخاصة بالاطفال، أو الى حدائق الحيوانات، أو الى السيرك، أو الى الحفلات الرياضية، أو الى العروض المسرحية المناسبة، أو الى الكرنفالات العامة.

ولـيكن في برنامج حياتكم مكان متسع للفسحة والرحلات والأسفار، تقومون بها اسبوعيا او شهريا او مرة كل عـام. حسب طبيعة السفرة، واوضاعكم المادية.

١٥ ـ خصصوا في منازلكم غرفاً لنوم الاطفال، ولتكن معرضة للشمس والهـواء ونـظيفـة الجـدران والابـواب والسقف، واجعلوا لكل طفل سريره الخاص.

١٦ ـ عـودوا اطفالكم على ممـارسة رغبـة التملك، وعلموهم كيف يحـافظون على اشيـائهم وامـلاكهم الصغيـرة. وان يصونوها من العبث واعتداء الغير، وكيف يحترمون ملكية الآخرين.

وآخر النصائـح واهمها ان تكونا، ايها الابـوان، قدوة الحسنة لاطفالكما، وان تحرصا على توفير متطلبـات صحتهم الجسدية والنفسية والاخلاقيـة والاجتماعيـة. وبذلـك تضمنان لهم تنشئة قويمة، وتساهمان في اعداد جيل صالح.

هذه مسؤوليتكما الكبرى، فاما ان تضطلعا بها او تستقيلا من الابوة والامومة.

الفهرس